جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

من الأساليب التعليمة المستخدمة في بيان النبوة دراسة بلاغية

One of the educational methods used in the statement of prophecy - a rhetorical study

إعداد
د/ محمد شاكر محمد صهوان.
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود،
جامعة الأزهر

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثاني- مايو)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

من الأساليب التعليمة المستخدمة في بيان النبوة دراسة بلاغية

محمد شاكر محمد صهوان.

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedsahwan.419@azhar.edu.eg

الملخص:

المتأمل في أحاديث النبي ﷺ يجد أنها اشتملت على أساليب تربوية عالية صاغها النبي -ﷺ- صياغة بلاغية عالية، ومن هذه الأساليب التربوية الأساليب التعليمية التي وظفها النبي- ﷺ- في مواقف متعددة لأغراض مختلفة، حيث كان يراعي أحوال المخاطبين في كلامه، ويختار الأسلوب الأمثل واللغة المناسبة لكل شخص وكل موقف، فكان يعالج كل حدث بما يناسبه ويتلاءم مع معطياته، وظهرت براعته-ﷺ- من خلال أساليبه البديعة حيث تنوعت تلك الأساليب التي استخدمها بتنوع الحدث واختلاف أحوال المتعلمين، ولقد كان لهذه الأساليب التي استعملها النبي ﷺ في تعليم أمته دور بالغ الأهمية في تقريب المعارف التي قصد النبي بيانها، حتى إنك لتجد للنبي سبقا في توظيفه لتلك الوسائل التي طالما أوصت باستخدامها النظريات التربوية الحديثة، ومن يتأمل السنة النبوية فإنه يجد أن هذه الوسائل لم تكن بالأمر العارض في كلامه ﷺ بل أتت كعنصر مهم استعان به النبي ﷺ في معالجته لكثير من المواقف التعليمية بشكل دقيق يثير الدهشة، مما حدا بالباحث أن يقف على نماذج من الأحاديث النبوية التي عالجت قضايا ومواقف تعليمية اعتمد بناء المعنى فيها على أساليب تربوية للوقوف على بعض جوانب بلاغته العالية في صياغته لتلك الأساليب وبيان خصائص تراكيبها وضروب تصويرها ودقة تحبيرها ومدى مطابقة الأساليب المستخدمة ذات الأنماط المتعددة للمقام وطبيعة الموقف، ومدى تأثير تلك الوسائل على فهم وإدراك المتلقين، وبراعته ﷺ في توظيفها كوسيلة تعبيرية تستخدم لتهيئة المعنى وتقريبه للأذهان وتثبيته لدى المتعلمين.

الكلمات الافتتاحية: الأساليب التعليمة، بيان النبوة، دراسة بلاغية

(A Rhetorical Study of the Educational Methods Used in Explaining Prophethood)

Muhammad Shaker Muhammad Sahwan.
Faculty of Arabic Language, Itay al-Baroud, Al-Azhar University, Itay al-Baroud, Arab Republic of Egypt

Email: *mohamedsahwan.419@azhar.edu.eg*

Abstract:

The contemplator of the hadiths of the Prophet finds that they included high educational methods formulated by the Prophet in a high rhetorical formulation, and among these educational methods are the educational methods that the Prophet employed in multiple situations for different purposes, where he took into account the conditions of the addressees in his speech, and chose the optimal method and the appropriate language for each person and each situation, so he treated each event in a way that suits him and suits his data, and the Prophet's ingenuity appeared through his exquisite methods where it varied These methods used by the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in the education of his nation had a very important role in bringing together the knowledge that the Prophet intended to demonstrate, so that you find the Prophet a precedent in employing those means that have long been recommended by modern educational theories, and whoever contemplates the Sunnah of the Prophet finds that these means were not incidental in His words, may God's prayers and peace be upon him, but came as an important element used by the Prophet in his treatment of many educational situations in a surprising accurate, which prompted the researcher to stand on models of hadiths of the Prophet that dealt with issues and educational situations in which the construction of meaning relied on educational methods to stand on some aspects of his high eloquence in his formulation of those methods and the statement of the characteristics of their compositions and the types of photography and accuracy of inking and the extent to which the methods used with multiple patterns match the maqam and the nature of the situation, and the extent of the impact of those means On the understanding and awareness of the recipients, and his ingenuity in employing it as an expressive means used to create meaning and bring it closer to the minds and stabilize it among learners

Keywords: *Teaching Methods , Statement Of Prophecy , Rhetorical Study*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق معلمًا رحيمًا وناصحا أمينا فكان خير من علم، وخير من أدب، فشرح الله به الصدور، وأنار به الأفئدة، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى وحملة راية العلم والعرفان، **أما بعد**:

فقد أرسل الله الرسل والأنبياء إلى الناس ليكونوا لهم هداةً ونورًا، يرشدونهم إلى طريق الله، ويعلمونهم ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم، وكان النبي – ﷺ– خير من دعا إلى ربه وخير من علم الناس بلسان عربي مبين، ومن يتأمل السنة النبوية يجد أنها قد حفلت بكنوز من المعرفة وعالجت كثيرا من القضايا والأحداث والمواقف المختلفة، ومن المعلوم أن النبي– ﷺ– أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح العرب لذا كان يتمتع في معالجته لتلك القضايا بأسلوب فريد في التواصل مع الناس، حيث كان يراعي أحوال المخاطبين في كلامه، ويختار الأسلوب الأمثل واللغة المناسبة لكل شخص وكل موقف فكان يعالج كل حدث بما يناسبه ويتلاءم مع معطياته، وظهرت براعته–ﷺ– من خلال أساليبه البديعة حيث تنوعت تلك الأساليب التي استخدمها بتنوع الحدث واختلاف أحوال المتعلمين، ولقد كان لهذه الأساليب التي استعملها النبي ﷺ في تعليم أمته دور بالغ الأهمية في تقريب المعارف التي قصد النبي بيانها، حتى إنك لتجد للنبي سبقا في توظيفه لتلك الوسائل التي طالما أوصت باستخدامها النظريات التربوية الحديثة، وكما تقرر لدى علماء التربية أن بيان المعاني والمقاصد حينما يأتي مقرونا بالوسائل التعليمية يكون له أثر عظيم وفوائد كثيرة جمة؛ حيث يستطيع المعلم من خلال تلك الأساليب ربط المعلومات وترسيخها في أذهان المتلقين، إضافة إلى أنها تعمل على توفير الجهد والوقت ولها القدرة على إثارة الذهن وإعمال العقل مما يستدعي التركيز والانتباه، كما أنها تبث روح الحيوية والنشاط لدى المتعلمين، وتساعد على فهم ما أغلق فهمه أو صعب شرحه من معارف وحقائق،

وتوفر الوقت والجهد على المعلم والمتعلم، حيث يتمكن المعلم أن يحقق مآربه من خلالها، كما أن لها أثرا نفسيا كبيرا في العملية التعليمية حيث تعمل على زيادة نسبة الشعور بالرضا النفسي لدى المعلم والمتعلم لما تحققه من نتائج إيجابية خلال المواقف التعليمية المختلفة، والناظر في السنة النبوية يجد أنها تحفل بتلك الوسائل التعليمية التي نادت باستخدامها النظريات التربوية، بل إن من يتأمل السنة النبوية فإنه يجد أن هذه الوسائل لم تكن بالأمر العارض في كلامه ﷺ بل أتت كعنصر مهم استعان به النبي ﷺ في معالجته لكثير من المواقف التعليمية بشكل دقيق يثير الدهشة، مما حدا بالباحث أن يقف على نماذج من الأحاديث النبوية التي عالجت قضايا ومواقف تعليمية اعتمد بناء المعنى فيها على أساليب تربوية للوقوف على بعض جوانب بلاغته العالية في صياغته لتلك الأساليب وبيان خصائص تراكيبها وضروب تصويرها ودقة تحبيرها ومدى مطابقة الأساليب المستخدمة ذات الأنماط المتعددة للمقام وطبيعة الموقف، ومدى تأثير تلك الوسائل على فهم وإداك المتلقين، وبراعته -ﷺ- في توظيفها كوسيلة تعبيرية تستخدم لتهيئة المعنى وتقريبه للأذهان وتثبيته لدى المتعلمين، ولم تكن الدراسة بصدد استقصاء كل الأساليب التعليمية، أو حصر الأحاديث التي اشتملت على أساليب تعليمية، وإنما كان المراد هنا هو دراسة نماذج متنوعة من تلك الأساليب التعليمية لعلها تفتح أبوابا لدراسات أخرى في هذا الجانب .

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في فهم واستكشاف الخصائص البلاغية في التعبيرات النبوية للأساليب التعليمية المتنوعة التي استخدمها النبي ﷺ في المواقف التعليمية المختلفة وكيف أدت دورا بارزا في بيان المعنى؟

ويتفرع عن هذا عدة أسئلة هي:

١. هل تنوعت الأساليب التعليمية التي استخدمها النبي في معالجته للمواقف التعليمية؟

٢. هل كان لكل موقف تعليمي أحوال تستدعي أسلوبا تعليميا خاصا به؟
٣. هل أدت الأساليب التعليمية دورا واضحا في بيان المراد من الموقف التعليمي؟
٤. كيف استطاع النبي ﷺ أن يصوغ الموقف التعليمي بما يتناسب مع مقتضى حال كل موقف؟
٥. ما الخصائص البلاغية التي ميزت الأساليب التعليمية النبوية؟ وكيف أسهمت هذه الخصائص في تحقيق أهداف التعليم؟
٦. ما الدور الذي أدته تلك الأساليب التعليمية في تهيئة المعنى، وبيانه، وتثبيته لدى المتلقين؟

أهمية البحث:

يسهم هذا البحث في إبراز دور الأساليب التعليمية المتنوعة الواردة في الأحاديث النبوية في بيان المعاني ومدى ملاءمتها للمقام والأشخاص المخاطَبين من خلال عرض نماذج من الأحاديث التي وظفت الوسائل التعليمية في مواقف مختلفة بقصد التوجيه والتعليم، أو بغرض تصحيح بعض الأخطاء التي لاحظها النبي ﷺ في سلوك بعض أصحابه، أو بغرض التأكيد على بعض الأمور المهمة التي يحتاجها الناس في أمور دنياهم ودينهم.

أهداف البحث:

- الوقوف على بعض الأسرار البلاغية وراء اختيار وسيلة تعليمية معينة لمعالجة موقف محدد.
- تحليل نماذج من الأحاديث النبوية التي اشتملت على أساليب تعليمية من منظور بلاغي.
- استكشاف الأثر الدلالي والجمالي لتنوع الوسائل التعليمية في الأحاديث النبوية.
- بيان أثر استعمال الأساليب في بيان المعاني وتحقيق المراد.

- دراسة الجوانب البلاغية لنماذج من الأحاديث النبوية، لبيان كيف أسهم هذه الجوانب في تعزيز فعالية الأساليب التعليمية؟

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي:

- الوصفي: حيث يتم وصف الموقف التعليمي وبيان الأسلوب المستخدم في هذا الموقف.
- التحليلي :يتم فيه تحليل الحديث محل الشاهد للوقوف على بلاغة الأساليب التعليمية في سياقها ومدى مناسبتها للموقف التي استعملت فيه، والكشف عن الخصائص البلاغية التي تميزها، وكيف تم توظيف هذه الخصائص في تحقيق الأهداف التعليمية المرجوة، وكيف تآزرت تلك الأساليب مع ما جاورها من أساليب تعبيرية في تمام البناء التركيبي للحديث.

عينة الدراسة:

اعتمد البحث على الأحاديث الصحيحة ذات الطابع التعليمي، التي تعالج مواقف مختلفة بوسائل تعليمية متنوعة، للوقوف على براعته ﷺ في استخدام الأساليب البلاغية في هذه المواقف، وبيان طرق توظيفها لتحقيق الغرض المراد من الحديث.

الدراسات السابقة:

لم أقف –فيما أعلم– على دراسة بلاغية متخصصة تناولت الأساليب التعليمية في الأحاديث النبوية، وما وقفت عليه من دراسات كان أغلبها دراسات تربوية تناولت الوسائل التعليمية في الأحاديث النبوية من الناحية التربوية؛ لبيان أن النبيﷺ استخدم تلك الوسائل قبل أن تتحدث عنها النظريات الحديثة، ولم تعتن بالجانب البلاغي ومن ذلك :

١– تأصيل الوسائل التعليمية في السنة النبوية، عبد الكريم الخطيب، مجلة التراث النبوي، مركز السنة والتراث النبوي للدراسات والتدريب، مارس ٢٠١٨م .

٢- الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ذكر في كتابه أربعين أسلوباً من أساليب النبي ﷺ التعليمية، تَخَلَّلَها ذكر بعض الوسائل مثل: الإشارة والرسم.

٣- دراسة تحليلية لبعض أساليب ووسائل التربية والتعليم في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية، وفاء عبد الرحمن الرميح. مجلة البحث العلمي في التربية ع ١٩ ج١١، (٢٠١٨م).

٤- وسائل تعليمية استخدمها النبي ﷺ في تعليمه للصحابة، دكتور رمضان مبروك محمد عبد المنعم، المجلد الثامن من العدد الحادي والثلاثون، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

٥- العصف الذهني وتطبيقاته في ضوء السنة النبوية، إبراهيم محمد محمود عبده، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي بالهند.

وهناك دراسات تناولت عددا من الأحاديث التي تناولت وسيلة واحدة محددة ودراسة الأحاديث دراسة بلاغية:

١- الحوار في الحديث النبوي الشريف دراسة تحليلية بلاغية لأحاديث مختارة، رسالة ماجستير، إعداد الباحثة، علوة بنت عابد عبد الله الحساني، جامعة أم القرى كلية الآداب والعلوم الإدارية للبنات بمكة المكرمة ١٤٣٩هـ - ١٤٣٠هـ.

٢- بلاغة التكرار في الحديث الشريف ومقاماته، بدر عبد العال حسين محمد، مجلة كلية اللغة العربية بجرجا، العدد التاسع عشر، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

٣- البلاغة النبوية في استخدام معطيات البيئة الحسية كوسائل تعليمية دراسة في كتب السنة، ناصر راضي الزهري إبراهيم، مجلة كلية اللغة العربية بجرجا، العدد التاسع عشر، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

خطة البحث: انتظم البحث في:

مقدمة، اشتملت على أهمية البحث، ومنهجه، وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة.

وتلاها دراسة تحليلية تضمنت:

١- من بلاغة أسلوب التكرار في السنة النبوية.

٢- من بلاغة أسلوب (العصف الذهني) في السنة النبوية.

٣- من بلاغة أسلوب (الرسوم التوضيحية والخرائط الذهنية) في السنة النبوية.

٤- من بلاغة أسلوب (ضرب الأمثال) في السنة النبوية.

٥- من بلاغة أسلوب (الإشارة) في السنة النبوية.

٦- من بلاغة أسلوب (الحوار والمناقشة) في السنة النبوية.

٧- من بلاغة أسلوب (دراسة الحالة) في السنة النبوية.

الخاتمة واشتملت على أهم نتائج البحث وتوصياته.

فهرس المصادر والمراجع

من بلاغة أسلوب التكرار في السنة النبوية

مدخل:

يعد التعلم عن طريق التكرار من أقوى الطرق المستخدمة في تطوير مهارات المتعلمين وزيادة معدلات الفهم لديهم، وهذه الوسيلة التعليمية تعد إحدى الركائز التي تقوم عليها عدد كبير من النظريات الحديثة في مجال التعليم، والتي تشير إلى أهمية التكرار وتوضح أن تكرار الشيء عادة ما يزيد من تقويته لدى المتعلم مما يؤدي إلى تحسين درجة التعلم، وذلك مثل نظرية التجربة والخطأ [1] وغيرها، كما أن التكرار له أثر انفعالي في نفس المتعلمين يحدث له إيقاظا وتنبيها مما يعمل على تأكيد المعلومات لديهم ويمكن المعنى في نفوسهم، ويدعم عمليات الحفظ، وهو وسيلة يستخدمها المعلم لإيقاظ أذهان المتعلمين متى وجد منهم غفلة أو استشعر لديهم سهوا، كما أن التكرار وسيلة فعالة تساعد المتعلم على استرجاع المعلومات وتثبيتها وجعلها أكثر استقرارًا في الذهن، "وقد بينت الدراسات التجريبية الحديثة العلاقة الوثيقة بين مستوى التذكر وبين عدد مرات التكرار، فالتكرار يثبت المعلومة والمهارات، ويساعد على جودة التذكر"[2].

أمثلة من أسلوب التكرار في حديث النبي ﷺ

من يراجع البلاغة النبوية يجد أن التعليم بأسلوب التكرار يعد من مظاهر البلاغة النبوية، حيث استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي في مواقف تعليمية متعددة، بأنماط متنوعة وفي مناسبات مختلفة، فعَنْ أَنَسٍ- رضى الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ"

---

(١) ينظر نظريات التعليم، عامد عبد الرحيم الزغول: ٧٨، دار الشروق، ٢٠١٠. والنظرية الارتباطية لثورندايك، رهام إبراهيم الغامدي: ١٥٧، رابطة الأدب الحديث، ٢٠١٩،

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد نجاتي، ١٨٠- ١٨٦، دار الشروق الطبعة الخامسة، ٢٠٠٥ م .

أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا"[١]، والمراد أنه كان يكرر الكلام ثلاثا إذا اقتضى المقام ذلك لصعوبة المعنى أو غرابته أو كثرة السامعين لا دائما فإن تكرير الكلام من غير حاجة لتكريره ليس من البلاغة[٢]، وكان أغلب تكراره ثلاثا؛ لأن " الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان وقد يزيد عن الثلاث للحاجة".[٣]

ومن أمثلة ذلك:

الحديث الأول:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (٤).

القضية الأساسية التي أراد النبي – ﷺ _ أن يعلمها لأصحابه هنا هي (خطورة الشحناء والعداوة بين الأخ وأخيه)

---

(١) الجامع المسند الصحيح لأبي عبد الله محمد بن البخاري (٤٨/١) حديث رقم : ٩٥ ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ): ١٠/ ٨٦ دار الكتب العلمية – بيروت

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني :١/ ١٨٩، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ

(٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ):٤/ ١٩٨٧، حديث رقم (٢٥٦٥) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الأساليب التي عالج بها النبي – ﷺ– هذه القضية (أسلوب التدرج والتشويق، وأسلوب التكرار).

في هذا الحديث الشريف يعلم النبي – ﷺ _ أمته أمرا عظيما حشد له عددا من الأدوات والأساليب التي تتناسب مع أهمية هذا الأمر وخطورته، وتجعل المراد من البيان النبوي يصل إلى المتلقي في قناعة ورضى، حيث تجد أن النبي –ﷺ– أراد أن يحذر أمته من فعلة من شأنها أن تحجب عن مرتكبها الغفران، هذه الفعلة هي الخصام والمشاحنة، وللتحذير من هذا الأمر وبيان خطورته بنى النبي –ﷺ– حديثه الشريف في قالب تعبيري حشد له مقومات تتناسب وخطر هذا الأمر واستعمل أسلوب التدرج في معالجته هذه القضية من خلال خطوات متسلسلة تقود إلى هدف محدد، معتمدا على التفاعل بين المعلم والمتعلم؛ ليحدث في النفوس تشويقا يصل بالمتلقي إلى مراد البيان، فافتتح الحديث بقوله: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ...) وهي عبارة من شأنها أن تشحذ الأذهان وتستقطب وعي المتلقي لتجذبه منتبها نحو ما سيحمله الحديث من أخبار، وما ذاك إلا لأن الحديث استهل بأمر تشتاق إليه النفوس ويسعى إليه كل عاقل فطن ألا وهو الحديث عن فتح أبواب الجنان وما يتبعه من نعيم تشتاق لرؤيته النفوس، ولاحظ أن الحديث افتتح بفعل بُنى لما لم يسم فاعله؛ لتركيز المشهد على حدث فتح الجنة وما يحدثه من أثر على النفوس السليمة، وأتى الفعل(تُفْتَحُ) على صيغة المضارع؛ للدلالة على أنه فعل يتجدد حدوثه كل أسبوع وهذا التجدد له وقع في بيان المعنى المراد التأكيد عليه، ثم يتبع البشرى الأولى ببشرى ثانية ليتدرج مع النفس في الارتقاء على مصعد الشوق الذي من شأنه أن يسيطر على النفس فتنجذب إلى ما يلقى إليها في خشوع واطمئنان فيقول: (فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) وهذه بشرى لها في النفس منزلة ومكانة صاغها النبي – ﷺ – في عبارة تجعل معناها يلامس القلوب ويشحذ الهمم ويجعل المسامع تلبي نداء الداعي إلى الإنصات لتقف على تمام الكلام؛ حيث أتى الفعل (يغفر) في صورة المضارع

الدالة على تجدد غفران الذنوب التي هي أكبر عائق أمام الإنسان للوصول إلى بغيته وما يتمناه من نعيم مقيم لا يزول، وبناه لما لم يسم فاعله للعلم بالفاعل هنا فإن الذي يغفر الذنوب هو الله، كما أن فيه تركيزا على الحدث وهو الغفران وجعله يأخذ حيزا واسعا من الصورة الذهنية التي يسعى البيان إلى تكوينها، كما أن فيه إشارة إلى أن الغفران هنا لا يستلزم طاعة بل هو منحة ربانية لتلك الأمة المباركة، وهذا كله يجعل قضية الغفران تشغل الذهن وتقع في النفس موقعا عظيما يجعل النفوس مشتاقة لمعرفة من هم أهل هذا الغفران وأصحاب تلك المنحة، فيأتي قول النبي (لكل عبد) كاشفا عما شغل الأذهان دالا على أن هذا الغفران عام، وإذا كانت كلمة (كل) دلت على الشمول والعموم فإن مجيء كلمة (عبد) بعدها في صورة النكرة أدت إلى اتساع في الشمول وزيادة في العموم حتى شملت العبارة كل من صح تسميته بـ(عبد) ثم يأتي بقيد (لا يشرك بالله شيئا)؛ ليخرج الكافر من هذا الشمول، ويخص به كل عبد مؤمن، وتأمل مقدار هذا الفضل وكيف صوره النبي -ﷺ- وكيف كشف عن قدره وهذا من براعته ﷺ؛ لأن الإنسان إذا رأى ما في العمل من عظيم الخير وكثير الأجر هان عليه الفعل وإن شق على نفسه، وإذا رأى عظيم الذنب المترتب على الإتيان بالفعل سهل عليه الترك وإن كان محببا لنفسه.

ثم يأتي بالاستثناء في قوله: (إِلاَّ رَجُلاً) بعد هذا العموم؛ ليجعل عقل المتلقي متقدا حاضرا فيثير لديه الرغبة في معرفة من هذا المحروم من ذاك الفضل الذي منحه الله لكل عباده المؤمنين، وما سبب حرمانه وأي عمل هذا الذي حال بينه وبين مغفرة الذنوب، ليأتي الجواب كاشفا عن الجرم الذي ارتكبه والذي تهيأت النفوس لمعرفته حتى تحترس من الوقوع فيه، ويصور النبي - ﷺ - هذا الأمر في قوله: (كانت بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ) و(كان) هنا ليست الدالة على الماضي المنقطع وإنما بها معنى (كان ولا يزال) وأتى بها لتحقيق ما جاءت في سياقه أي أنها أتت لتأكيد وجود هذا الخصام وتحققه بين الطرفين والإصرار عليه منذ زمن، وفي إيثار التعبير

بكلمة (أخيه) بما تحمله من روابط محبة بين الأفراد دعوة لكل من يتأتى منه السماع إلى نبذ الخصام وترك العداوة والتخلي عن البغضاء وفيه حث على المسارعة إلى الصلح حفاظا على روابط الأخوة التي تستدعي من كلا المتخاصمين أن يلين جانبه لأخيه، وبهذا فقد تبين للمخاطبين خطورة هذا الفعل ونتائج الإصرار عليه، ثم يختم النبي ﷺ هذه المشاهد بقوله : (فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) والنبي هنا لم يترك المتلقي في حيرة من أمره بل أتى إليه بما يسد حاجته؛ إذ إن المتابع لمشاهد الحديث يجد تطورا في الأحداث إلا أنه لم يقف على ما يشفي به ما في نفسه و يصل به إلى بغيته، والمعلم الناجح هو الذي يمتلك تلك المقومات التي يستطيع أن يجعل المتعلم جزءا من حدثه التعليمي، ويتدرج معه في التعليم حتى يصل به إلى بغيته دون أن يتركه وعنده إغلاق لأمر أو نهم لمعرفة لم تكتمل، والنبي قد استطاع أن يصل مع المتلقين إلى مرحلة اكتمال المعرفة؛ لأنه بين حال هؤلاء الذين تم إخراجهم من زمرة المستحقين للمغفرة وأوضح أن حالهم موقوف على إنهاء الخصام، وتأمل تعبيره ﷺ (فَيُقَالُ) بالبناء لما لم يسم فاعله؛ لأنه ما زال يصوب الحواس نحو التركيز على الأحداث؛ ليعطي الحدث المساحة الأكبر لدى المتلقي دون التركيز على فاعله خصوصا وأن الفاعل معلوم ومعروف، وتأمل كلمة (أَنْظِرُوا) وهي أمر من الإنظار وهو التأخير والإمهال، إلا أن الجذر (ن ظ ر) يحمل معنى الأمر بالمراقبة[1]، أي مع تأخيرهم وإمهالهم لا تغفلوا عنهم بل صوبوا الأنظار نحوهم حتى إذا عادوا قبلوا في ساعتهم وشملتهم الرحمات، وفي هذا أيضا حث على المبادرة بإزالة الشحناء والعداوة

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور مادة (ن ظ ر)،٥/٢١٥، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

والبغضاء بين الإنسان وأخيه بغية أن تشملهم المغفرة، كما أن استخدام صيغة الأمر "أنظروا" يحمل الحث على اتخاذ إجراء فوري لحل المشكلة.

وأتى باسم الإشارة (هذين) بدل الضمير؛" لتمييز المتخاصمين عن غيرهما وتوجيه الحكم لهما وفيه مزيد ردع عن فعلهما وتنفير عما تلبسا به، وحث عن الرجوع عنه إذ جعلهما خارج المغفور لهم، وآثر التعبير بـ(حتى) دون غيرها لأن مجرورها يلزم أن يكون آخرًا أو متصلًا بالآخر[1]، وفي هذا إشارة إلى أن الغفران لن يتحقق إلا إذا انتهى الخصام ووقع منهما الصلح، و تكرار جملة :(أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) من باب التأكيد اللفظي الذي غرضه الاهتمام بالمعنى والعناية بالمراد، كما أن التكرار هنا أسلوب تعليمي أتى به رغبة في تحقيق أهداف بلاغية وتربوية؛ حيث أريد به بيان أهمية الصلح في تحصيل المغفرة والتأكيد على أنه بدون حدوث الصلح فإن المغفرة محجوبة، ولعل هذا التكرار يعالج حالة نفسية لدى المخاطبين وهي أنه قد يقع في خاطر المتلقي أن هذا الفعل يحجب المغفرة لوقت محدد، مع أن وقت الخصام قد يطول فساعتها قد يتجاوز عن المتخاصمين دون أن يتصالحا، لكن أتى التكرار؛ ليدل على أن المغفرة محجوبة عن المتخاصمين وإن طال وقت خصامهما، وإمهالهما يطول ولا سبيل إلى الدخول في زمرة المغفورين لهم إلا بالصلح، فالتكرار أحدث إطالة في الكلام مع تكرار للعبارة بلفظها ومعناها؛ ليهدم أي معتقد يظن معه أن الإطالة قد يصحبها غفران حتى ولو لم يحدث الصلح، كما أن التكرار هنا بمدلولاته وموقعه كان بمثابة الصوت المرتفع الذي أضفى على السياق قوة إيقاعية أحدثت صليلا ملأ الآذان وقرع النفوس وشدد على أهمية الصلح؛ وأسهم في ترسيخ المعنى في أذهان السامعين، وجعله حاضرًا في وجدانهم، وآخر ما طرق أسماعهم

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، الأُشْمُوني (المتوفى: ٩٠٠هـ): ٢/ ٧٢، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .

ليترك عندهم شعورا راسخا بأهمية الصلح، كما أن مجيئه في خاتمة الحديث كان بمثابة إغلاق دائرة المعنى وربط النهاية بالبداية، مما يزيد من الأثر النفسي والعاطفي لدى المتلقي، ويكون له الأثر الأعظم في نفوس المتشاحنين، كما أنه يحدث عندهم حالة من الترقب والانتظار لحل الخلاف للحاق بزمرة الفائزين بمغفرة الرحمن، وبهذا تجد لوسيلة التكرار هنا أثرا واضحا في معالجة هذا الموقف التعليمي الذي تضمنه هذا الحديث حيث انصهرت تلك الوسيلة التعليمية في بناء تركيبي بليغ مع ما جاورها من أساليب؛ لتكمل البناء وتحقق البغية وتؤدي الغرض في أحسن صورة وأجمل عبارة .

الحديث الثاني

ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1]

هذا الحديث الشريف يحمل في طياته معاني سامية ودلالات بالغة الأهمية، فهو يجمع بين عمق المعنى وجمال الأسلوب، مما يجعله نموذجًا بارزًا للمعلم الناجح الحذق الذي برع في جمع أدواته التربوية وأجاد في دقة استخدام أساليبه التعليمة المختلفة، والمتأمل لنظم الحديث يجد أنه أتي وفق الصورة الآتية:

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ): ١٢٨/١، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

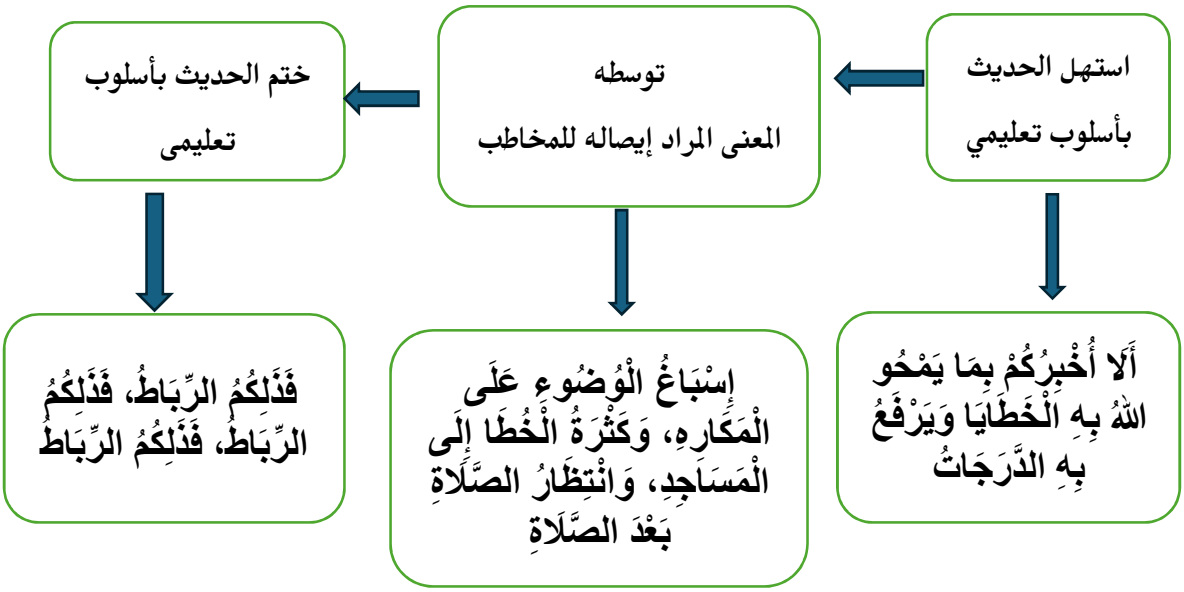

والناظر للمعنى الرئيس والمقصد الأسمى من هذا الحديث يجد أنه يتناول أمورا جليلة ذات منزلة عظيمة تحتاج إلى عزيمة قوية وهمة عالية؛ لأن النبي– ﷺ– يعلم أصحابه أعمالا يمكن من خلالها أن يتخلص الإنسان المؤمن من خطاياه، ويرفع من درجاته؛ لذا فقد ناسبها أن تقع في بناء تركيبي محكم يجعل النفوس متهيئة لأن تتلقى هذه الأمور وتتلبس بها وتسارع إلى فعلها، وقد تحقق هذا في الاستهلال والخاتمة، حيث افتتح الحديث بوسيلة تعليمة ذات أثر فعال في إحداث تهيئة للنفوس وشحذ للهمم و الأذهان وإثارة للفكر وهي الحوار والمناقشة، وقد تمثلت هذه الوسيلة في استفتاحه ﷺ حديثه بـ(ألا) وهي أداة تنبيه واستفتاح وعرض يؤتى بها في الكلام من أجل تنبيه المخاطبين إلى ما يأتي بعدها من كلام، ومن بلاغة عرضه – ﷺ – أنه آثر استخدام أداة تنبيه تشتمل على أسلوب استفهام؛ ليحدث مع التنبيه إثارة للذهن، وتحريكا لذكاء السامع؛ لأن السؤال بطبيعته يجذب الانتباه ويحث المخاطب على الاستماع والتفاعل، كما أنه زاد من التشويق حيث بدأ حديثه بثواب عظيم على طريقة السؤال فقال: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ "

فالسؤال ولد حالة من التشويق والحماس لدى المخاطبين، مما دفعهم إلى الانتظار بلهفة لمعرفة الجواب وجعله أكثر جاذبية في أذهان المستمعين لأن الناس يميلون إلى ما يثير اهتمامهم وفضولهم، ولو أن النبي -ﷺ- قال في حديثه: إن إسباغ الوضوء وكثرة الخطى إلى المساجد يمحو الله بهما الخطايا، لكان الأثر أقل شأنا على النفس؛ لأن الإخبار يقدم المعلومة بشكل مباشر، بينما السؤال يترك للمستمع مساحة للتفاعل والتفكير، وبهذه الطريقة التعليمية الناجحة أصبحت أذهان المستمعين مؤهلة تأهيلا تاما لسماع المراد، وعبر عن المطلوب في قالب بديع مكون من ثلاث جمل قصيرة صدرت بالمصدر وهي (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ)؛ لتكون صورة متكاملة للمطلوب جمعت بين الإيجاز، والحث على المبالغة في إتمام هذه الأمور، مع الثبات على فعلها بشكل دائم لا ينقطع، فليس المطلوب الإتيان بأمر من الثلاثة منفردا، أو الإتيان بهذه الأمور بشكل متقطع غير دائم، بل المطلوب الإتيان بها بصورة تامة بحيث يبذل المسلم قصارى جهده في إتمامها، و الثبات على فعلها؛ لهذا اتسمت تلك الجمل بسمات تعبر عن المعنى المراد، من هذه السمات أنها جمل قصيرة، ومعلوم أن الجمل القصيرة في الكلام البليغ تركز على الفكرة الأساسية فتبرزها واضحة بأقل عدد من الكلمات، وتجعلها سهلة الحفظ والتذكر كما أنها تسهم في إيصال المعنى بوضوح ودقة مع قوة في التأثير، كما بنيت هذه الجمل على الصورة الاسمية الدالة على أن المقصد هنا هو الثبات على تلك الأفعال لا مجرد الإتيان بها بشكل متقطع، كما أتت هذه الجمل مترابطة ذات نفس واحد إذا بدأت مع أولها لا تقف حتى تأتي على آخرها؛ لتأكيد الحرص على الإتيان بها مجتمعة كوحدة واحدة مترابطة، وصدرت الجمل الثلاث بالمصدر للحث على المبالغة في تحقيق هذه الأمور ومجاهدة النفس من أجل المحافظة عليها وإتمامها، كما أن التعبير بالمصدر جعل الحديث مركزا على الحدث ذاته دون الخوض في تفاصيله الزمنية أو الفاعلة، مما يمنحه قوة تعبيرية

خاصة تتناسب مع طبيعة الأفعال المأمور بها وأهميتها، وتأمل تلك المصادر وما اشتملت عليه من معاني تجد أنها تتآزر مع دلالات المصدر في الحث على المبالغة في إتمام هذه الأفعال ومن ذلك التعبير بـ(إسباغ) وسبغ شيء سابغٌ أَي كامِلٌ وافٍ... وإِسْباغُ الوُضوءِ المُبالَغة فيه وإِتْمامُه[1]، فالمبالغة تفهم من اللفظ وصياغته، كما أن لفظة (كثرة) تدل على الحث على المداومة والتكرار؛ لأن الكثرة لا تتأتى إلا بالمداومة على الفعل، وفي التعبير بالانتظار ما يدل على الحرص الشديد الذي يجب أن يوليه المؤمن لهذه العبادة فإذا انتهى من صلاة ظل عقله وقلبه متعلقا بما بعدها متشوقا إلى الوقوف بين يدي الله، وبهذا تآزرت صياغة الكلمات مع معانيها لتدل على بيان المطلوب من المخاطبين تجاه هذه الأمور.

وظاهر المعنى يشير إلى أن الحديث تم معناه عند الجملة الثالثة وهي: وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، مما يولد سؤالا في الذهن.. لماذا أتى النبي ﷺ قوله: (... فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)، ولماذا كرره؟

والمتأمل للبيان النبوي هنا يجد أن الوسيلة التعليمية التي استهل بها النبي – ﷺ – كلامه لم يكتمل بها المقصد الذي أراده النبي -ﷺ- لأن هذه الوسيلة وإن كانت قد بينت أهمية هذه الأعمال وأوضحت أنها سبيل إلى مغفرة الذنوب ورفع الدرجات، إلا أنها لم تكشف للمخاطبين عن مقدار هذه الأعمال بالشكل الذي أراد النبي – ﷺ – بيانه، مما جعل النبي ﷺ يكمل البناء التركيبي لهذا البيان النبوي بوسيلة تعليمية مناسبة يكتمل بها المعنى ويتحقق من خلالها المراد في أتم صورة وأبلغ عبارة، وتحقق ذلك في قوله: (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)، حيث كشف عن مقدار تلك العبادات وبين أنها كالرباط، والرِّباطُ في الأَصل الإِقامة على جِهادِ العدوِّ بالحرب وارتِباطُ الخيل وإِعْدادُها فشبَّه ما ذكر من الأَفعال الصالحة به...

(١) لسان العرب: مادة (س ب غ): ٨/ ٤٣٢،

وقوله : فذلكم الرِّباطُ أَي أَنَّ المُواظبةَ على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل اللّه فيكون الرِّباطُ مصدرَ رابطْتُ أَي لازمت [1] ولاحظ أن النبي – ﷺ – عند بيانه مقدار أجر من يحافظ على هذه الأمور استعمل تركيبا بليغا (فذلكم الرِّباطُ) وهذا التركيب أتى مكونا من اسم الإشارة المتصل به اللام والكاف؛ للدلالة على تفخيم الأجر والتنبيه على أهمية تلك الأعمال، ثم أتى بالمسند (الرباط) معرفا؛ لإفادة القصر والتخصيص، فقصر الرباط على ما ذكر في الحديث من أعمال من باب القصر الإضافي الذي أفاد رفع توهم أن الرباط يقتصر على الجهاد بالسلاح فحسب، والتأكيد على أن هناك من العبادات ما يعادل الجهاد في الأجر والثواب، وبهذا فقد أحدث ذلك التركيب توسيعا لمعنى الرباط عند السامعين ليشمل كل هذه الأمور المذكورة في هذا الحديث الشريف، وهذا المعنى الذي أخبر به النبي – ﷺ – أصحابه أوجد عندهم غرابة ظهرت على تعابير وجوههم عند سماع قوله: (فذلكم الرباط) إذ كيف لهذه الأعمال أن تكون كالرباط وما فيه من بذل للنفس والمال وتعريض الحياة للخطر، فما كان منه –ﷺ– إلا أن لمح ذاك على وجوههم فسارع ليعالج ما ظهر منهم وبدا عليهم واختار لذلك من وسائل التعليم أنسبها وأفضلها وأحسنها موقعا في نفوس السامعين، والتي من شأنها أن تزيل الغرابة وتثبت لديهم هذا الجزاء وتحثهم على الإتيان بهذه الأفعال وتحرضهم على المحافظة عليها مخافة الاستهانة بقدرها أو التهوين من شأنها، فاستعمل التكرار ليؤكد القول عند السامعين، ويعزز الفكرة لديهم ويرغبهم في القيام بهذه الأفعال، ويزيد العناية بها ويزيل الشك من نفوسهم ويجعلهم يركزون على المعنى المراد، وتتجلى براعة الأداء في انصهار تلك الوسيلة التعليمية مع ما جاورها من أساليب لتشكل قالبا تعبيريا مناسبا للسياق، ذا حبكة قوية يجمع بين جمال التعبير وجلال المعنى، حيث أحدث تأكيدا للمعنى المراد وترغيبا في تلك الأعمال فأتى

(١) لسان العرب : مادة (ر ب ط): ٧/ ٣٠٢.

مطابقا لمقتضى الحال، وختم به النبي حديثه ليساعد على ترسيخ الرسالة الأساسية في ذهن المتلقين، كما أن التوكيد كان بمثابة إشارة أحدثت تنبيها لأهمية ما اشتمل عليه الحديث فكان بذلك حسن الختام .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه».(١)

يتناول الحديث بيان مكانة الجار وخطورة إيذائه وما يترتب على إيذائه من عواقب، ولتأكيد هذا المعنى عند السامعين وتنبيههم على معرفته استهل النبي – ﷺ– حديثه بأسلوب التكرار حيث كرر قوله: (والله لا يؤمن) ثلاثا، أي لا يؤمن "إيمانًا كاملاً ... أو أنه لا يجازى مجازاة المؤمن فيدخل الجنة من أوّل وهلة مثلاً أو أنه خرج مخرج الزجر والتغليظ"(٢)، ومن المعلوم أن هناك أحاديث كثيرة بدأت بنفي الإيمان إلا أن هذا الحديث اختص بأمور تدل على أهمية ما اشتمل عليه من تعاليم أراد النبي ﷺ أن يبلغها لأمته، حيث إن أغلب الأحاديث التي نفى فيها الإيمان لم تبدأ بالقسم، فكانت تأتي بصيغة (لا يؤمن) دون أن يسبقها قسم، وهناك أحاديث أتي فيها نفي الإيمان مسبوقا بالقسم (والله لا يؤمن) دون تكرار القسم وما دخل عليه، إلا أن هذا الحديث تميز عن غيره بأن جمع بين الاستفتاح بجملة اشتملت على القسم الداخل على نفي الإيمان، وبين تكرار الجملة ثلاثا ليتآزرا معا في بيان المعنى المقصود، فتصدير الحديث بنفي الإيمان المسبوق بالقسم يفهم منه التحذير من أمر يخشى عاقبته، ويدل على مدى خطورة المحلوف عليه، وفيه إيماء إلى

---

(١) صحيح البخاري:٥/٢٢٤٠ .

(٢)إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد القسطلاني ، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ): ٩/ ٢٤، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ .

ضرورة أخذ الحذر من مغبة الوقوع فيه، وتكرار (والله لا يؤمن) ثلاث مرات؛ يعد من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال حيث أحدث للنفي تأكيدا يتردد صداه في أسماع المخاطبين، ويهز قلوب السامعين مما يحدث إثارة في الذهن، وشحذا للهمم بغية الوصول إلى عقل المخاطب وقلبه، والتمكن من إقناعه بما يتضمنه الكلام من آراء وأفكار؛ لأن تصدير الكلام بتكرار نفي الإيمان ثلاثا أوجد في نفوس الصحابة حرصا شديدا على معرفة من الذي يقع في دائرة هذا الوعيد خوفا من أن يكونوا من هذا الصنف، وحرصا على البعد عما يقربهم منه، وإثارة رغباتهم في الوصول إلى ما يمكن أن يجنبهم سلب الإيمان، وقد ظهر أثر التكرار لدى الصحابة الكرام في حوارهم مع النبي، مما يظهر للسامع كيف ترك التأكيد الناتج من التكرار أثرا في نفوسهم فتشوقوا للمعرفة، وسارعوا إلى السؤال قائلين: (وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) وفي رواية (وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟)[1]، والواو للعطف على محذوف والتقدير سمعنا قولك يا رسول الله لكن لم نعرف من يكون ولا حقيقته، وسؤال الصحابة يشير إلى حرصهم على تعلم أمور دينهم، وسماع الإجابة من نبيهم فيما غاب عنهم، ومن الواضح أن هذا السؤال كان من جماعة الحاضرين مما يدل على أن الأثر الذي أحدثه مطلع الحديث بما اشتمل عليه من تكرار أوجد ترهيبا وتخويفا أصاب جميع الحاضرين، مما جعلهم جميعا حريصين على معرفة حقيقة من أقسم عليه النبي بنفي الإيمان معرفة دقيقة، والدليل قول الراوي (قالوا، أو قيل)، فحصر القول في تلك المقولتين يدل على أن جميعهم اتفقوا على هذين السؤالين، فمنهم من أراد أن يحدد له النبي ﷺ هذا الشخص فسأل بـــ(من)، ومنهم من أراد أن يعرف حقيقته فسأل بـ(ما) التي يستفهم

---

(١) من حديث أبي هريرة، المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ): ١/ ٥٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

بها عن حقيقة الشيء بغرض إظهار حاجتهم إلى معرفة كل ما يتعلق بهذا الأمر الخطير فيجتنبوه، وإن كانوا قد تلبسوا به دون علم فيسارعوا إلى التخلي عنه، ولشدة حرصهم على معرفة هذا الشخص فقد عبروا باسم الإشارة (ذَاكَ) الذي يعين مدلوله تعيينًا مقرونًا بالإشارة ويُستَخدمَ في تَعْيينِ ما لا يُعرَفُ له اسْمُ ولا وصْفُ، وفي ذلك دلالة على رغبتهم الشديدة في الحصول على بيان وافٍ من الرسول ﷺ لهذا الأمر بحيث يكشف لهم عما جهلوه وغاب عنهم فيعرفونه معرفة من رأى وعاين لا من سمع وفقط، وفي استخدام (ذاك) التي هي للتوسط بين البعيد والقريب دون غيرها؛ للدلالة على أن معرفة هذا الشيء بعيدة عنهم قريبة من علم رسول الله فهي متوسطة بين المرسل والمتلقي وليست بعيدة عن كليهما، ويمكن أن يكون إيثارهم (ذاك) دون غيرها لعدم جزمهم بقربهم من هذا الأمر الذي يخرج صاحبه من الإيمان، أو بعدهم عنه فهو ما زال مجهولا عندهم، فاستعمال ذاك يدل على حالهم وشدة شغفهم نحو معرفته حتى يحددوا موقفهم منه؛ لهذا زادوا بعد الاستفهام نداءهم للرسول ﷺ، وهذا يشعر بإلحاحهم عليه وطلبهم منه سرعة الإجابة وعدم الإبطاء عليهم حيث إن الأمر قد شغل أذهانهم بل وملأ قلوبهم رعبا وخوفا، لما فيه من التوعد بالخروج عن الإيمان، أو على الأقل عدم اكتماله، ويرجع كل ذلك إلى بداية الحديث وما اشتملت عليه من تركيب هز القلوب هزات متتالية ذات ترددات عالية ونبر قوي جعل القلوب ترتجف والعقول تتأهب، مما ساقها للسؤال وطلب الجواب على النحو السابق.

وتأتي إجابة النبي ﷺ حاملة معها الغرض الرئيس من هذا الحديث، بعدما مهد له وأوجد الرغبة لدى المخاطبين لسماع المراد بل وطلبه بشغف وإلحاح، فيقول: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه) وأتى المسند إليه معرفا بالموصولية (الذي)؛ لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو بيان من الذي يقسم عليه النبيﷺ أنه لا يؤمن، فكانت الإجابة بالاسم الموصول الذي يعرف المقصود منه بصلته وهذا هو المقصود

حيث إن من يقسم عليه النبي بأنه لا يؤمن هو الذي لا يأمن جاره بوائقه، وبهذا يتقرر الغرض المسوق له الكلام وهو بيان حرمة إيذاء الجار والتأكيد على شدة خطورة هذا الفعل، وأتت الإجابة في رواية أخرى بقوله: (جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) [1] وهنا حذف المسند إليه لسرعة الوصول إلى الخبر المراد الإعلام عنه لما وجده في نفوس الصحابة من شوق لمعرفته، والتقدير هو جار، وأتى به نكرة للعموم فإن هذا النعت ينطبق على أي جار يصدر منه هذا الفعل، كما أن مجيئه نكره يجعل النفس تزداد طلبا وحرصا لمعرفة أي جار هو، فتأتي جملة (لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) نعتا له كاشفة عن حقيقته موضحة صفته محددة طبيعته، فتنجلي لدى الصحابة حقيقة الأمر ويعرفون خطورة هذا الفعل، وفي التعبير بالفعل (يأمن) بصيغة المضارع الواقع بعد لا النافية ما يدل على خطورة هذا الفعل؛ إذ إن هذا الجار اعتاد إيقاع الأذى بجاره حتى صار عدم الأمن صفة دائمة مستمرة لدى جيرانه، وصار إيقاع الأذى طبع فيه، كما أن التعبير بـ(يأمن) أوجد بينه وبين (لا يؤمن) جناسا غير تام محرفا؛ إذ إن (لا يؤمن) من الإيمان، (ولا يأمن) من الأمن، وهذا الجناس جعل المعاني متصلة وأعطى مع قوة القسم وتردد التكرار جرسا صوتيا يجعل المعاني تستقر والفائدة تتم، كما أنه يوجد مناسبة بين (لا يأمن، ولا يؤمن) تتمثل في أن الجار الذي يوقع الضرر في نفس جاره وماله وممتلكاته، وينزل به الدواهي المهلكات، والموبقات المدمرات، من شأنه أن يسلب الأمن من عند جاره وينغص عليه حياته فتعهده حزينا النفس مكلوما، فلما سلب من جاره عوامل الأمن، عاقبه الله من جنس فعله فسلب منه معقد السعادة في الدنيا والآخرة ألا وهو الإيمان، وفي التعبير بلفظة(بوائقه) على صيغة الجمع ما يكشف عن شناعة ما يحدثه هذا الجار بجيرانه وما يشير عن أسباب انتزاع صفة الإيمان منه، حيث أتت جمعا؛ للدلالة على

(١) من حديث أبي هريرة، المستدرك على الصحيحين،: ١/ ٥٣.

كثرة ما يوقعه بهم من ظلم معنوي ومادي، وهذا يتناسب مع التعبير بالفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار حتى صارت تلك الأفعال لتكرارها وكثرتها معهودة عليه وعادة فيه ، والواضح أن معناه غريب بدليل سؤال الصحابة عنها في قولهم: (قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: «شَرُّهُ»)[١]، وهذا السؤال إنما أتى لغرابة الكلمة وشدة حرص الصحابة على معرفة حقيقة الأمر معرفة لا يخالطها شك حتى ينجو من الأمور التي من شأنها أن تهدم الإيمان، وفي التعبير بلفظة غريبة دليل على غرابة الفعل نفسه، فالأصل أن يعامل الجار جاره بالحسنى ومكارم الأخلاق ويتعهد كل واحد منهم الآخر بين الحين والحين لطول المصاحبة وتبادل المنفعة ورجاء الغوث من الجار عند النوازل ودفع الشر عنه، واطلاع كل منها على خاصة الأخر بحكم قرابة المسكن...، لكن لما أتى بأفعال لا تتناسب وتلك الحقوق كان إتيانها أمرا غريبا فناسبه التعبير باللفظ الغريب، كما أن التعبير بلفظ (بائقة) وسع المعنى فالبائقة هي الداهِيةُ الشديدة المهلكة وبوائقه أي غَوائلُه وشرُّه أو ظُلْمه وغَشَمُه[٢]، وقيل: هي "أكثر ما يوصف بها الأمر الشديد"[٣]، وكأنه يشير إلى أن جاره قد تعود منه الشر بأنواعه حتى إنه أصبح دائم التوقع من حصول الأذى والضرر منه في أي وقت وبأي شكل، كما أن فيه إشارة إلى أن هذا الجار قد تدرج في أذاه وتسلطه حتى فعل من الشرور أعظمها ومن الأضرار أشدها، فاستحق أن يسلب منه الإيمان.

---

(١) من حديث أبي هريرة، المستدرك على الصحيحين،: ١/ ٥٣.

(٢) لسان العرب مادة (ب و ق).

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ):١٧٣/٢١، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

وعلى هذا ترى أن النبي– ﷺ – عمد إلى تأكيد المعنى في نفس المخاطبين فبين شدة خطره ، وأوضح مغبته على صاحبه بما أورده في صدر الحديث من أسلوب التكرار الذي قصد به الإنذار والردع؛ ليكون أبلغ في التحذير وأشد في التخويف، مما حدا بابن الملقن سراج الدين أن يقول : "وهذا الحديث شديد الحض على ترك أذى الجار، ألا ترى أنه – عليه السلام – أكد ذلك بقسمه ثلاث مرات أنه لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه"(١)، وذلك لأن أسلوب التكرار لا يقوم على مجرد تكرار ألفاظ فحسب وإنما له دلالات نفسية وانفعالات ذات وقع على نفس المخاطب تتولد في الأصل في نفس المتكلم نتيجة حرصه الشديد على إيصال المعاني في نفوس المتلقين فيخرج كلامه دفعات متكررة حتى تحدث أثرا فعالا في نفس المخاطبين وتكشف لهم ابتداء خطورة هذا الأمر، وقد ظهر ذلك واضحا في حال الصحابة عند الإسراع بالسؤال للاستفسار عن حقيقة الأمر.

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ):٢٨/ ٣٢٢ ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

من بلاغة أسلوب (العصف الذهني) في السنة النبوية

مدخل:

عرف علماء التربية العصف الذهني بعدة تعريفات منها: توليد وإنتاج أفكار وآراء إبداعية من الأفراد والمجموعات لحل مشكلة معينة، وتكون هذه الأفكار والآراء جيدة ومفيدة، أي وضع الذهن في حالة من الإثارة والجاهزية للتفكير في كل الاتجاهات لتوليد أكبر قدر من الأفكار حول المشكلة أو الموضوع المطروح، بحيث يتاح للفرد جو من الحرية يسمح بظهور كل الآراء والأفكار. (١)

ومن هذا التعريف يتبين أن استخدام مهارة العصف الذهني من الأساليب التي تمكن الداعية والمعلم من الوصول إلى من يدعوه ويعلمه قلبا وعقلا بغية إقناعه بما يريد أن يعلمه إياه مرتكزا على إثارة اهتمامه وجذب حواسه للتفكير في المسألة قبل أن يبين أو يوضح مكنونها وحقيقتها، ليهيئ ذهن المتعلم لفهم القضية والاقتناع بها، عن طريق تقديم المعلومة في قالب تشويقي؛ ليحمس المخاطبين على معرفة متعلقات المعلومة المطروحة ويفعل من دورهم في الموقف التعليمي، وبهذا فإنه يقوم على التحرر من القيود التي تفرضها الطرائق التقليدية على العقل والفكر ويدعو إلى إثارة التفكير الإبداعي.

من أمثلة العصف الذهني في السنة النبوية

استخدم النبي – ﷺ – هذا الأسلوب التعليمي من أجل إثارة اهتمام أصحابه وتنبيههم وزيادة الدافع لديهم، وتشجيعهم على فضائل الأعمال ومعالي الأمور، ومن الأحاديث التي استخدمت هذا الأسلوب التعليمي، ما روي عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي

(١) العصف الذهني وحل المشكلات، يحيى محمد نبهان :٣، ٢٠١٠ م

مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»(١)

أراد النبي – ﷺ – أن يعلم أمته بعضا من صفات المسلم وفضائله، واستخدم لذلك الموقف التعليمي وسيلة تربوية تناسب هذا الموقف وهي العصف الذهني والمتمثل في توجيه سؤال للصحابة الكرام عن أمر لا علم لهم به من قبل؛ لتحفيزهم على توليد الأفكار بصورة إبداعية حول السؤال الذي طرحه عليهم النبي – ﷺ– من خلال إعمال العقل للبحث عن إجابات لهذا الطرح النبوي، وهذه الطريقة لها أثر كبير في زيادة الإفهام وترسيخ المعاني في الأذهان إذ إنها تجعل المتعلم في بيئة تعليمية تزيد من رغبته في التفكير وتشجعه على إثارة الذهن، ومن يتأمل سؤال النبي – ﷺ– يجد أنه سؤال يخاطب المهارات التفكيرية العليا ويحتاج من الصحابة الكرام مجموعة كبيرة من العمليات العقلية للوصول إلى الإجابة الصحيحة؛ لهذا كان من مقتضى الحال أن يمهد النبي –ﷺ – لسؤاله بقوله: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ) حيث صدر حديثه بالتأكيد المتمثل في (إن) والجملة الاسمية، وهذا التأكيد لا يعد من ضروب التوكيد التي يراعي فيها المتكلم حال المخاطب من حيث إنكاره للخبر أو عدم إنكاره، وإنما يراعي مقتضيات أخرى تجعل المتكلم يهتم في سبك كلامه وصياغة جمله باعتبارات يريدها ويجعل منها مقامات يصوغ كلامه وفق مقتضياتها، ومن هذه المقتضيات التي بنى عليه النبي –ﷺ– حديثه ومعانيه شدة حرصه – ﷺ – على تقرير ما اشتمله الحديث من حقائق و تقوية مضمون كلامه في نفوس أصحابه الكرام، مما يرسخ في أذهانهم حقيقة وجود تلك الشجرة التي لا يتساقط ورقها؛ وبهذا فقد كان للتوكيد أثر واضح في إبعاد أذهانهم عن توهم عدم وجود شجرة تتصف بهذه الأوصاف بسبب أنها ليست كبقية الأشجار المعهودة

(١) صحيح البخاري: ٢٢/١

عندهم، وتوجيههم نحو الوصول إلى تلك الشجرة بذهن متقد واع بدلا من أن يشغلوا أنفسهم بحقيقة وجود هذه الشجرة من عدمه، وقوله: (من الشجر شجرة) جعل الصحابة يعملون عقولهم ويقلبون أفكارهم مستحضرين جميع أنواع الأشجار المتوفرة في معارفهم في جولة ذهنية عبر البادية لتكون محل نظر وفكر ليصلوا بذلك إلى الشجرة المقصودة التي قصدها النبي – ﷺ–، وهذا النوع من التفكير يحتاج إلى وعي ثاقب وفكر ناقد يستطيع أن يصل بصاحبه إلى تحديد المطلوب من بين نظائر متعددة، وخص النبي– ﷺ– في بيانه صفة واحدة من صفات الشجرة بالذكر وهي (لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا)؛ لأن هذه الصفة من خصائص النخلة فبها تعرف وتتميز، كما أنه ركز على جانب لا ينتبه إليه الناس ولم يذكر الجوانب الأخرى المشهورة في النخلة؛ ليطلق العنان لعقول الصحابة رضوان الله عليهم لتحلق في سماء الفكر، وهذا يتطلب تحديد شجرة ذات مواصفات محددة مما يستدعي القيام بعملية حصر لأنواع مختلفة من الأشجار، يتبعها عملية استبعاد لكل أنواع الأشجار التي لا تتوفر فيها تلك الصفة الواردة في الحديث وهي عدم تساقط الأوراق حتى يصبح لدى المتلقي قائمة من الأشجار التي لا يتساقط ورقها، وقوله: (وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ) استكمال لصفة الشجرة، وأتى بهذه الصفة في صورة ضرب المثل من الواقع المحيط بالمخاطبين فجعل الشجرة مشبها والمسلم مشبها به، مما يدل على أن الصفات المقصودة أوضح وأبين في المؤمن منها في الشجرة، كما أنه لم يحدد الصفات المرادة في المسلم؛ ليجعل العقول لاتقف عن حد معلوم بل تسبح في أعماق المعاني لتستخرج كل الصفات الجميلة، وهذا المثل يحدو بالمتلقي نحو استحضار ما استطاع من صفات المسلم ثم يقوم بعد ذلك بعمل مقابلة بين صفات الشجرة وصفات المسلم، ويستبعد ما يتنافى وتلك الصفات حتى يصل إلى الجواب الصحيح، وفي قوله– ﷺ– قال لأصحابه: (حدثوني) دعوة لجميع الحاضرين أن يشاركوا النبي –ﷺ– هذا الموقف التربوي، وأن يبذلوا جهدهم للتعرف على هذه الشجرة، وهذا من سمت المعلم الناجح الذي يحرص على

تحفيز المتعلمين على المشاركة الفعالة في الموقف التعليمي عن طريق تنشيط مواطن التفكير لديهم وعدم تقديم المعلومات بشكل سهل لا يحتاج معه المتعلم إلى بذل جهد للوصول إليها؛ لذا يقول الإمام النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث فوائد منها استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر والاعتناء"[(١)]، وسياق الحديث الشريف يبين أن الحاضرين أقبلوا على الإجابة حتى كثرت الإجابات وتعددت، بدليل كلمة (وقع الناس) فالوقوع أتي من عدد كبير يوحي به كلمة (الناس)، وفي التعبير بـ(ثم) الدالة على التراخي في (ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) دليل على أن النبي– ﷺ – ترك المجال والوقت الكافي لأصحابه الكرام للمشاركة، حتى عصفوا أذهانهم، وأعملوا أفكارهم، وأبدوا آراءهم في عدد من شجر البادية، ولم يقطع تفكيرهم أو يستعجل منهم الإجابة ولما لم يصلوا إلى الحل الصحيح بادروا هم بطلبها من النبي – ﷺ –، فأفصح لهم الرسول – ﷺ – عن مراده، وذكر لهم الإجابة الصحيحة، فقال: «هِيَ النَّخْلَةُ» معبرا بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، وهذا الثبوت والاستقرار المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية من الصفات التي تجتمع في حال المسلم الثابتة الراسخة، وحال النخلة ذات الأصل الثابت والفرع المستقر، وبهذا تجد أن النبي استعمل مهارة العصف الذهني لإيصال تلك المعلومة في يسر وجلاء، حيث قدم بعض المعاني وبين بعض الصفات التي تُعيين المخاطب على الوصول إلى المطلوب وترك لهم المساحة الكافية للتفكير وأتاح لهم المجال لإعمال الذهن، وإشحاذ العقل؛ للوصول للمراد، حتى إذا يأس الصحابة من إدراك المطلوب، أفصح لهم النبي ﷺ عن المعنى المراد بيانه، وبذلك يكون قد

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): (١٧/ ١٥٤) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

ترسخ هذا الموقف التعليمي في نفوس المخاطبين مقرونًا بقناعة وفهم وإدراك للمعاني والمقاصد التي أراد النبي أن يعلمها إياهم.

الحديث الثاني: (حديث أتدرون من المفلس)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ(١).

هذا الحديث الشريف يعد من المواقف التربوية التي قصد بها النبي -ﷺ- أن يصحح لدى السامعين بعض المعتقدات التي يغفل عنها كثير من الناس إذ قد يظن الإنسان أنه متى أتى بعبادات كثيرة من صلاة وصيام وزكاة ... فإن ذلك يمنعه من النار حتى وإن تحمل المظالم واقتراف الذنوب المتعلقة بحقوق العباد فأساء لغيره بشتم وقذف وسب...، وقد استخدم النبي – ﷺ – في تصحيح هذا المعتقد أسلوب العصف الذهني لما له من قدرة على استثارة خيال المخاطب، وحثه على التأمل في القضايا المطروحة، والنظر إليها من جوانبها المختلفة نظرة إبداعية، فعندما طرح النبي– ﷺ – هذ السؤال، وطلب من أصحابه الإجابة فإنه بذلك يُحفز عقولهم، ويبعث النشاط في نفوسهم، مما يساعد على تقليل الخمول الفكري لديهم، وتنمية التفكير الابتكاري والإبداعي عندهم.

وقد بنى النبي -ﷺ- حديثه على سؤال (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) والاستفهام هنا غرضه الاستعلام الذي يراد منه الإخبار؛ لأن النبي يعرف إجابته لكنه خاطب به الصحابة الكرام؛ ليثير حفيظتهم ويستحضر عقولهم ويحدث لديهم تنبيها وتشويقا

(١) صحيح مسلم:٤/ ١٩٩٧، حديث رقم (٢٥٨١)

يوقظ لديهم مراكز الفكر ويحثهم على التدبر والتأمل فيما يلقى إليهم؛ للمحاولة إلى الوصول إلى إجابتهم، ومن ثم يبني عليه النبي -ﷺ الحكم المراد بيانه في قالب من الأفكار العميقة، والمعاني السامية بطريقة منظمة ومدروسة، ولا يلزم في الاستفهام الذي يراد به إعمال العقل وعصف الذهن أن يُجيب المتلقي بما يريد المتكلم، بل يكون القصد من هذا الأسلوب استدراج المتلقي للوصول إلى المراد، كما أن تصدير الكلام بالاستفهام يحدث لدى المتلقي تشويقا يثير فضوله لمعرفة الجواب أو الوصول إلى المعلومة التي سيخبر بها، وهذا يعد من البلاغة النفسية في الخطاب حيث نسجت معاني الحديث في قالب تكون بناؤه من أدوات تعبيرية لها تأثير في نفوس الصحابة مما دفعهم إلى التفكير والمشاركة في هذا الموقف، ومن الملاحظ أن سؤال النبي – ﷺ- أتى بلفظ (ما) في رواية مسلم، وبلفظ (من) في رواية الترمذي، وبين الروايتين اختلاف في المعنى إلا أن هذا الاختلاف يؤدي إلى تمام المعنى وتكامله، فجملة (أتدرون ما المفلس ؟) التركيز فيها على صفة الإفلاس نفسها، وليس ذات المفلس، فالنبي ﷺ يفتح أمامهم بابًا واسعًا للتفكير في مفهوم الإفلاس ويريد من المخاطبين أن يتعمقوا في تفكيرهم؛ لبيان هذا المفهوم وتوضيحه وشرح أبعاده المختلفة، أما رواية "أتدرون من المفلس؟ فهي أكثر تحديدا؛ لأن التركيز فيها ينصب على الشخص المفلس نفسه، أي من هو الشخص الذي تعتبرونه مفلسًا، أو من هي الفئة المحددة من الناس التي تصنفوهم مفلسين ؟، وعليه فإن رواية (ما) تدعو المتلقين للتأمل وشرح المفهوم، أما رواية (من) فتدعوهم للتحديد والتصنيف، وكلاهما مراد وله وقع وفائدة في نفس المتلقي حيث وسعت مدارك الإجابة وهذا يتناسب مع طريقة العصف الذهني.

ومن الملاحظ أيضا أن النبي– ﷺ – بنى سؤاله على شقين الشق الأول (أتدرون) والشق الثاني (ما المفلس) فالشق الأول "أتدرون" يثير الانتباه ويدعو إلى التفكير في الإجابة ويعزز فكرة الدعوة إلى التعمق والتأني في بيان المراد دون الاقتصار على

ظاهر السؤال والاكتفاء بالإجابات السطحية، وكأنه يقول لهم : "هل حقًا تعرفون معنى الإفلاس الحقيقي؟، كما أن تكرار الاستفهام له أثر بالغ في بيان أهمية الموضوع و التأكيد ابتداء على تلك الأهمية، كما أحدث التكرار لدى السامعين مزيدا من التشويق وأثار لديهم كوامن التفكير وأوجد لديهم حالة من الترقب والانتظار، مما زاد دافعيتهم واهتمامهم بالمشاركة في الإجابة والحرص على معرفة الجواب الصحيح، وهذه الأدوات التعبيرية التي نسج عليها النبي ﷺ مطلع حديثه جعلت كل حواس المستمعين تترقب الإجابة الصحيحة المرادة، فإذا تم لها ذلك وقع الجواب في نفوسهم موقع الماء البارد في قلب الظمآن فاستقر وثبت.

ومن الواضح أن النبي – ﷺ – استعمل أسلوب الاستفهام التشويقي هنا ليستفهم الصحابة عن شيء معلوم دلالته عندهم إلا أنه ﷺ أراد أن يضيف إلى تلك الدلالة دلالة جديدة هي أولى من تلك الدلالة المعهودة عندهم، وكان الصحابة–رضوان الله عليهم– يستشعرون ذلك فكانوا يحترسون في إجاباتهم عن أسئلة النبي ﷺ، وقد أتت إجابة الصحابة رضوان الله عليهم دالة على ذلك، فبعدما تركهم النبي – ﷺ – مدة يسيرة يقلبون فيها أفكارهم للوصول إلى الإجابة: (قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ)، والواضح أن هذه الإجابة كانت مما اتفق عليها الجميع بدليل إسناد القول لواو الجماعة في (قالوا)، ولاحظ أن الصحابة قد فطنوا إلى ما في سؤال النبي ﷺ من التأكيد على عدم الوقوف عند ظاهر الأمور وفهموا ضرورة إعمال العقل وتدقيق الفكر للوصول إلى الإجابة الصحيحة؛ فأخذوا يفكرون في الإجابة إلا أنهم لم يصلوا إلا للمعهود عندهم والمعروف لديهم، فقالوا: (الْمُفْلِسُ فِينَا) حيث أعادوا المسند إليه (المفلس) في الجواب وكان من الممكن حذفه لذكره في السؤال لكنهم عدلوا عن الحذف للذكر؛ تأكيدا على أنهم وجهوا فكرهم للوقوف على صفة المفلس وتحديد حقيقته حتى إنهم استحضروا صورة المفلس أمامهم وأخذوا ينظرون إليها من كل جانب وكرروها على ألسنتهم بغية أن يصلوا إلى إجابة سليمة لبيان حال المفلس

وصفاته، وهذا حرص من الصحابة الكرام لأن يبذلوا جهدهم للوصول إلى ما سألهم عنه رسول الله -ﷺ- ومجيء الظرف (فينا) بين المفلس وصفته إقرار منهم أنَّهم أجابوا على سؤال النبي بما عندَهم مِنَ العِلمِ وبما هو متعارف عليه، وهم يعلمون يقينا أن إجابتهم التي بنوها وفق معارفهم ناقصة إذا ما قورنت بعلم رسول الله -ﷺ- لأنه يعلم ما غاب عن أذهانهم وما قصرت عنه أفهامهم، وهذا من باب التأدب مع رسول الله -ﷺ-، واحتراس منهم لأن تكون هذه هي الإجابة القاطعة التي أخمدت جذوة الفكر وأغلقت نهم النفس نحو معرفة الإجابة، بل إن مجيء الظرف كشف عن أن ترقبهم للإجابة قد زاد واهتمامهم بالموقف قد قوي، وهذا من الأمور المقصودة من النبي -ﷺ- حيث أراد أن يزيد من تركيز السامعين ويقوي اهتمامهم ويثير حفيظتهم نحو معرفة الإجابة الصحيحة حتى يؤدى الموقف الهدف المرجو منه نحو تصحيح بعض المفاهيم والوقوف عند بعض الحقائق الغائبة عن الأذهان، وهذا أنفع من الإخبار عن الشيء بالطريقة المباشرة، فإعلام النبي ﷺ للصحابة بحقيقة المفلس بعد أن قدم له بما قدم فيه تأكيد وإحكام للمخبر عنه، ومن الملاحظ أن النبي – ﷺ – لم يخطِّئ الصحابة فيما أجابوا به، بل وجه لهم الإجابة المطلوبة بعدما أثار أذهانهم وأيقظ فكرهم نحو معرفة المراد، وهذا الأسلوب يتطابق والضوابط التربوية الحديثة في تطبيق طريقة العصف الذهني، حيث إن العصف الذهني يوفر مساحة كبيرة من الرأي والمشاركة دون تقييد لإنتاج الفكرة أو نقدها، كما أن هذه الطريقة التربوية تقتضي من المعلم بعد هذه التهيئة وتلك الإثارة أن يأتي جوابه شافيا كافيا بحيث يشبع تلك الرغبات التي أوجدها لدى المتلقي ولا يترك له أي نهم ولا شغف نحو المزيد من المعرفة في هذا الشأن بل يأتي عليه من كل جوانبه، ومن يتأمل جواب النبي – ﷺ – يجد أنه قد حقق المراد فلم يترك لدى الصحابة في هذا الأمر

شاردة ولا واردة إلا بينها، ويظهر ذلك في قوله: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يأتي يوم القيامة...) وفي رواية الترمذي (الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي من يأتي يوم القيامة...)[١] والروايتان يعضد بعضهما بعضا فالجملتان خبريتان اشتملتا على وسائل لتأكيد المعنى، فأتت الأولى مؤكدة بإن، واشتملت الجملة الثانية على قصرٍ طريقته تعريف الطرفين؛ لتأكيد المعنى حيث قصر الإفلاس والمفلس على من يأتي يوم القيامة ومعه أعمال كثيرة من صلاة وصيام وزكاة، إلا أنه آذى عباد الله وظلمهم، وبهذا يكون مجموع الروايتين قد دل على شدة تأكيد المعنى، ولكن لماذا أتى إخبار النبي- ﷺ - مؤكدا على الرغم من أن الصحابة غير منكرين لقوله؟ لعل النبي- ﷺ -أكد الجواب لكون ما أخبر به كان مخالفا لظن الصحابة وما أجابوا به وفق علمهم وهذه المخالفة استدعت التوكيد لكون الإجابة أتت على خلاف معتقدهم، ويمكن أن يكون هذا التوكيد من إنزال غير المنكر منزلة المنكر بسبب ما بدا في جوابهم من توكيد حيث صاغوا إجابتهم (الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ) مؤكدة بتأكيدين هما: اسمية الجملة، والقصر بتعريف الطرفين، كما بالغوا في نفي الامتلاك بتنكير (درهم) و (متاع) أي أنهم لا يملكون حتى القليل منه إذ إن نفي القليل يدل على نفي الكثير، فخاطبهم النبي -ﷺ -بأسلوب التوكيد فيما لا ينكروه، ويحتمل أن يكون التوكيد هنا مما لا ينظر فيه لحال المخاطب وإنما كان التوكيد لأمر يعود للمتكلم، حيث إن النبي ﷺ كان حريصا على إذاعة هذه الحقيقة وتقريرها في نفوس الصحابة الكرام حتى تحل محل ما ذاع واشتهر عندهم فأتى بها مؤكدة، وقد استطاع هذا الأسلوب الذي استعمله النبي ﷺ أن يعقد مقارنة بين المفلس الحقيقي الذي فقد حسناته يوم القيامة بسبب ما عليه من حقوق العباد، وبين المفلس الظاهري الذي لا يملك مالًا

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي:٤/ ٦١٣، (حديث رقم: ٢٤١٨) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون

ولا متاعا، وهذه المقارنة كان لها دور كبير في إبراز عمق المعنى المراد إيصاله للمخاطب، كما أنه يدفع المتعلمين إلى تغيير أنماط تفكيرهم وتوجيههم دائما للوصول إلى الأولويات .

ومن يتأمل إجابة النبي – ﷺ- يجد أنها ذات شقين، الشق الأول قوله: (الْمُفْلِس مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ،) وقد أتى هذا الشق على غير المتوقع بل أتى على خلاف إجابة الصحابة الذين ذكروا أن المفلس في معتقدهم هو من لا يملك قليلا ولا كثيرا من مال أو متاع، فأتى الجواب النبوي محدثا مفاجأة لدى السامعين حيث ذكر أن المفلس هو من في حوزته ممتلكات متنوعة كثيرة وثروات من الحسنات تمثلت في (صلاة وصيام وزكاة)، ومن الملاحظ أن هذه الأشياء أتت على سبيل المثال لا الحصر فيدخل فيها كل الطاعات الأخرى، ودل العطف بالواو فيها على التنوع فمنها عبادات بدنية، ومنها عبادات مالية، كما دل التنكير على كثرة تلك الأعمال، وتأمل قوله- ﷺ-: (يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ) فمع أن هذه الأعمال من الأشياء المعنوية إلا أن النبي -ﷺ- صاغها بأسلوب بلاغي جعل تلك المعاني تظهر وكأنها ممتلكات حسية يستشعر بها صاحبها ويركن إليها، فعبر بالاستعارة المكنية التي شبهت تلك الأعمال (الصلاة والصيام والزكاة) – بأشياء محسوسة يحملها صاحبها يوم القيامة، ثم حذفها ودل عليها بإثبات لازمها وهو الإتيان بها، وهذه الاستعارة أفرغت على تلك الأعمال أوصافا فجسدتها في صور وأشكال محسوسة يراها الناظرون، وناسب هذا التصوير النبوي التعبير بصيغة المضارع(يأتي) الذي أكمل الصورة المرئية التي رُسمت عن طريق الاستعارة وشخصها أمامهم، وكأنهم يعاينونها وينظرون إلي فاعلها وقد أتى بتلك الأعمال وركن إليها وظن أن فيها النجاة، مما يجعل الموقف يستولى على جل حواس المخاطبين ويسترعي اهتمامهم، وهذا من شأنه أن يولد الحيرة في نفوسهم ويجعلهم في شوق إلى معرفة المزيد، وأوجد في أذهانهم تساؤلا كيف لمن كان هذا

حاله أن يكون مفلسا؟! فازداد ترقبهم لتعديل معارفهم، وجعل طلبهم لاستكمال الكلام أشد وأقوى حتى تنكشف لهم حقائق تلك الأمور، فيأتي الشق الثاني من الإجابة ليزيل الدهشة ويبدد الحيرة، وفي رواية الترمذي أتى الجواب النبوي : (الْمُفْلِس مِنْ أُمَّتِي من يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَته، وَصِيَامه، وَزَكَاته) بزيادة (من) في قوله : (من يأتي) لمناسبة ورودها في هذه الرواية في السؤال (أتدرون من المفلس؟)، وفي هذه الرواية أيضا أضاف (الصلاة والصيام والزكاة) للضمير العائد على المفلس؛ لمناسبة (من) والتي يفهم منها أن السائل يريد تحديد ذات المفلس وهذا يتناسب مع مجيء (من) في الإجابة لأن مجيء الأعمال مضافة لصاحبها هنا فيه مزيد من التشخيص والتعيين لذات المفلس كما أن فيه مزيدَ عناية وحرصا على ظهور ذات المفلس في هذا الموقف، وعليه تكون الرواية الأولى أكدت على صفة المفلس، والثانية اهتمت بالتركيز على ذات المفلس وبهذا تتكامل الإجابة بمجموع الروايتين معا.

ويأتي الشق الثاني من إجابة النبي ﷺ في قوله: (وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا...) حاملا المعنى الأم للحديث ومبددا لما سيطر على المخاطبين من تعجب واندهاش وكاشفا لكل ما أبهم وأغلق على الأفهام ومجيبا عن كل ما دار في أذهانهم من تساؤلات لأن هذا الشق بين لماذا كان هذا الشخص جديرا بأن يطلق عليه صفة المفلس، وعبر عنه أيضا بالفعل المضارع الذي جعل الأحداث وكأنها شاخصة أمامهم ينظرون إليها ويتابعون تطوراتها، وبهذا تكتمل الصورة الكلية للأحداث حتى يربط السامع بين أول الأحداث وآخرها فيرى هذه الثروة الضخمة من الأعمال وهي تتناثر هنا وهناك وتنقص شيئا فشيئا حتى تصير هباء منثورا، ويرى تلك الجبال العاتية من الحسنات التي شيدها في الدنيا وهي تنسف نسفا بسبب المظالم التي تلبس بها حتى ينتهي كل ما في حوزته من حسنات، ولحرص النبي- ﷺ - على تصوير هذه الأحداث بدقة عالية عبر باسم الإشارة (هذا) وكأن المشاهد أمامهم والأحداث تدور بين أيديهم والنبي- ﷺ -ش يشير إليها، وفيه

تصوير لأصحاب المظالم وقد أحاطوا بالظالم مقتربين منه مطالبين بحقوقهم مستعدين لحصد حسناته، ومن الملاحظ أن الأمور التي عدها النبي وكانت سببا في تبديد تلك الحسنات إنما كانت على سبيل المثال لا الحصر ويدخل فيها كل عمل استوجب القصاص من صاحبه يوم القيامة، وخص النبي هذه الأفعال بالذكر لكونها من الأمور التي يتكرر وقوعها بكثرة في الحياة بين الناس ويغفلون عن عقوبتها ويستهزئون بمغبتها، كما أن النبي حرص على تنوع هذه الأفعال بين أحداث مختلفة فمنها (شَتَمَ، وَقَذَفَ، وَأَكَلَ، وَسَفَكَ، وَضَرَبَ) وبهذا فقد شملت الأذى باللسان، والأذى الواقع باليد، وفيها التعدي على الأعراض والأموال والأنفس فهي شاملة لجل أبواب الضرر التي يمكن أن يؤذي بها إنسان غيره، كما أن التنوع شمل التعبير بالحقيقة تارة والمجاز تارة أخرى؛ ليدل على أن هذا الظالم سلك كل ضروب الأذى مبالغا في إيقاعها وتظهر تلك المبالغة في التعبير بـ(قذف) وهي استعارة مكنية حيث شبه النبي – ﷺ – الخوض في الأعراض بالحجارة التي ترمى ويقذف بقوة وعنف فتنال ممن ألقيت عليه وتحدث له ألما شديدا، وفي التعبير بـ(سفك) كناية عن كثرة القتل وإراقة الدماء بغير الحق، وفي التعبير بـ(أكل مال هذا) استعارة مكنية حيث شبه المال بشيء يؤكل ثم حذف المشبه به وعبر عنه بشيء من لوازمه وهو الأكل، وفي التعبير بالأكل ما يدل على النهم والشهوة التي سيطرت على هذا الظالم، كما يدل على أن هذا الفعل يتكرر منه لأن فعل الأكل من العمليات الحيوية التي يحرص الإنسان على تكرارها خلال يومه ولا يستغني عنها، فدل التعبير بالأكل عن شدة ما أصاب هذا الظالم من نهم في سلب أموال الناس حتى صار يتغذى عليها، كما أنه ﷺ صاغ هذه الأفعال في صوة الماضي المسبوق بـ(قد) للتأكيد على وقوع هذه الأفعال من صاحبها، وفي عطف هذه الأفعال بعضها على بعض دليل على أن صاحبها اتصف بها حتى صارت ديدنا فيه فوقعت منه مرة بعد مرة مع خلق كثير دون اكتراث بحرمة أو خوف من حساب، مما أوقعه في الغفلة عن التوبة منها في

الدنيا وعدم القلق من خطورتها في الأخرة، والتعبير بالفعل (فَيُعْطَى) مقرونا بالفاء في قوله: (فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ...) ما يدل على سرعة القضاء وسرعة الاقتصاص وسرعة تناثر الأعمال وزوالها، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله فيه تركيز على الحديث وزيادة في التجسيد له، كما أن فيه إشارة إلى سلب إرادة صاحب تلك الأعمال حتى أصبحت حسناته كلأ مباحا لأصحاب المظالم، وهذا يصور للصحابة الكرام الأثر النفسي الذي وقع على صاحب تلك الأعمال ومدى صعوبة هذا الموقف على نفسه، وعبر باسم الإشارة؛ لتمييز من وقع عليهم الظلم أكمل تمييز، كما أنه يصور للمخاطبين المشهد وكأنه بين أيديهم وأمام أعينهم وهم يتابعون أصحاب المظالم وهم يتجمعون على من ظلمهم للمطالبة بحقوقهم وهذا أوقع على نفس المستمع، وتكرار اسم الإشارة يصور للسامع الازدحام حول تلك الحسنات والتسارع نحو الأخذ منها من أصحاب المظالم المختلفة، كما أنه يشير إلى تعدد تلك المظالم فهو لم يسلط سهما واحدا من الأذى بل تعددت أفعاله وجرائره مما يلقي الرعب في نفس صاحب الأعمال لتيقنه أن أعماله ستفنى قريبا لكثرة الآخذين منها، وقوله: (فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) فيه تصعيد للموقف؛ لأن الأمر لم يقف الآن عند حد الأخذ من الحسنات، بل تعدى ذلك وانتقل إلى تحمله من سيئات أصحاب المظالم الأمر الذي ستكون نهايته أن يهوى الإنسان بحمله في النار، وفي التعبير بـ(الفاء) في قوله: (فإن) دليل على سرعة فناء هذه الحسنات لكثرة المطالبين بالحقوق، مما يجعل صاحبها جدير بلقب (مفلس) ومن الملاحظ أن النبي -ﷺ- صاغ التحول من أخذ الحسنات إلى طرح السيئات في أسلوب شرط أداته (إن) ليخبر بأن التحول من الحسنات إلى السيئات مشروط بانتهاء الحسنات فالأصل هو دفع الحسنات، واستعمل أداة الشرط

(إن) التي تستخدم لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها[1]، لأن فناء الحسنات ليس شرطا مجزوما به في كل الحالات التي سيقضى فيها المظالم، فهناك من سيأتي بحسنات وعليه مظالم وستقضى منه المظالم دون أن تنتهي حسناته، بل إن استخدام (إن) فيه إشارة إلى أن من تفنى حسناتهم من أمة الحبيب محمد- ﷺ -أثناء قضاء ما عليهم من مظالم أقل ممن قضى ما عليه وبقي له ما يمر به سالما، ولعل في ذلك إشارة إلى رحمة الله تعالى بتلك الأمة، الأمر الثاني وراء إيثار استعمال (إن) هنا هو إظهار رغبة صاحب العمل في عدم خسارته لكل رصيده من الحسنات، والتعبير بـ(الفناء) الذي هو ضد البقاء فيه دقة اختيار من النبي ﷺ- وفيه تنبيه للصحابة لما فاتهم في إجابتهم، حيث إن النبي ﷺ سأل عن المفلس، وأفلس بمعنى "صار ذا فُلُوس بعد أَن كان ذَا دراهِم، وأَفْلَس الرجل إِذا لم يبق له مالٌ يُراد به أَنه صار إِلى حال يقال فيها ليس معه فَلْس"[2]، أي أن الإنسان لا يقال له مفلس إلا إذا كان ذا مال وفقد هذا المال، وهذا عين ما ذكره النبي ﷺ، حيث ذكر حال رجل كان له ملك ثم فقده حتى افتقر، أما الصحابة الكرام فقد عرفوا المفلس بأنه من لم يكن له مال ولا متاع فهذا أصل حاله لا ما آل إليه؛ وبهذا تجد دقة عالية في التعبير النبوي، وعبر بـ(ثم) في قوله:(ثم طرح) ليصور للسامع طول مدة الأخذ من الحسنات وما تلاها من طرح السيئات مما يدل على كثرة مظالمة التي استغرقت زمنا طويلا في أدائها، وفيه تنفير للسامعين أن يكونوا في مثل هذا الموقف الذي تطول أهواله ويمتد زمانه، وفي التعبير بالفعل (طرح) مبنيا لما لم يسم فاعله من الإيجاز للعلم بالفاعل وهم الملائكة، كما أن فيه تركيزا على الحدث وجعله

---

(١) حاشية الخضري، الشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخضري، على شرح ابن عقيل لألفية الإمام ابن مالك : ٢/١٢٠ مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م.

(٢) لسان العرب مادة (ف ل س)

يأخذ المساحة الكلية للمشهد حتى يحدث الرهبة في نفوس السامعين، كما أن بناء الفعل للمفعول فيه إشارة إلى سرعة الطرح فبمجرد أن تنتهي أحداث القصاص فإن الملائكة تطرحهم في النار وكأنهم كانوا يقفون مستعدين لانتهاء القصاص ليسرعوا لطرحهم في النار، وعلى ذلك فإن النبي- ﷺ -تمكن من الوصول إلى عقول أصحابه وقلوبهم، وتمكن من إقناعهم وتصحيح معتقداتهم عن طريق استخدام مهارة العصف الذهني التي عملت على إثارة اهتمامهم وتنبيه حواسهم إلى ما يريد تعليمهم إياه من ترهيب من عواقب الأفعال السيئة، وترغيب في كثرة الأعمال الصالحة.

من بلاغة أسلوب (الرسوم التوضيحية والخرائط الذهنية) في السنة النبوية

مدخل :

الرسوم التوضيحية والخرائط الذهنية هي "رموز بصرية تعبر عن الأفكار، والحقائق، والعلاقات من خلال الخطوط، والصور"(١)، وتعد من الطرق التعليمية المهمة والبسيطة التي يمكن للمعلم أن يبسط بها معلوماته التي يريد إيصالها للمتعلمين، فهي تعمل على تقديم المادة العلمية بطريقة تتناسب مع طبيعة العقل البشري، كما أنها تعد أداة رائعة في تنظيم التفكير ببساطة وهي من أسهل طرق إدخال المعلومات إلى الذهن وإخراجها منه، وإحدى السبل الإبداعية والمبتكرة لتدوين الملاحظات التي تخطط للأفكار تخطيطا كاملا، ويستخدم فيها الخطوط والرموز والكلمات والصور وبها يمكن تحويل قائمة المعلومات التي تبعث على الملل إلى شكل بياني منظم يبعث على البهجة ويسهل تخزينه في الذاكرة(٢).

من أمثلة الرسوم التوضيحية والخرائط الذهنية في السنة النبوية

المتأمل في أحاديث النبي – ﷺ – يجد أن الرسوم التوضيحية والخرائط الذهنية كان لها حضور واضح في بيانه ﷺ حيث استعملها النبي في مواقف تعليمية مختلفة؛ ومناسبات متعددة بغية تبسيط المفاهيم وتقريب المعاني وترسيخ المفاهيم وتوضيحها في أذهان المخاطبين مما يجعلها سهلة الفهم والتذكر، وهذا الاستعمال حدا بالإمام ابن حجر رحمه الله أن يقول عن النبي: "وكان يستعين بالرسم في

---

(١) وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، عليان الدبس:٤٥٩، دار صفاء/ ٢٠٠٣م.

(٢) كيف ترسم خريطة العقل: توني بوزان: ١٢، ١٤ ، ط: ٩، مكتبة جرير العربية السعودية سنة ٢٠١٠ م .

توضيح المعاني وتقريبها إلى الأذهان رغم أنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم الهندسة ولا غيرها"[١]، ومن أمثلة ذلك في البيان النبوي:

الحديث الأول

عَن ابْن عَبَّاس، قَالَ: (خطّ رَسُول الله، ﷺ، فِي الأَرْض أَرْبَعَة خطوط، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: الله وَرَسُوله أعلم. فَقَالَ رَسُول الله، ﷺ: أفضل نسَاء أهل الْجنَّة خَدِيجَة بنت خويلد وَفَاطِمَة بنت مُحَمَّد وَمَرْيَم بنت عمرَان وآسية بنت مُزَاحم امْرَأَة فِرْعَوْن).[٢]

أرد النبي – ﷺ– في هذا الحديث الشريف أن يبين لأصحابه من هن أفضل نساء أهل الجنة فاستخدام – ﷺ – في معالجة ذلك الموقف التعليمي المخطط الذهني البسيط والذي يعد من أساليب التواصل البصري؛ وذلك لبيان المعنى التي يريد أن يعلمه لأصحابه ويرسخه في أذهانهم بشكل واضح ودقيق، واستعان في رسمه لهذا المخطط بالأدوات المتاحة له والمستمدة من واقعه وبيئته، حيث استخدم عودا أو عصا، واختار أرضا يصلح عليها النقش ومكانا يظهر به الرسم؛ وهذه وسيلة تعليمية ناجحة، كان لها أثر كبير في استدعاء العدد الأكبر من حواس الصحابة الحاضرين لهذا الموقف للمشاركة في عملية التعليم، ووفق ما أقرته النظريات والتجارب التربوية أن المعلومات التي يتم استقبالها عبر العديد من القنوات الحسية تكون أكثر فاعلية

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ):٤١/١ ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ):٤٧٠/١٥ حديث رقم (٧٠١٠) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

من تلك التي يتم استقبالها من خلال قناة حسية واحدة، وأنه كلما زاد عدد الحواس التي تشترك في الموقف التعليمي، زادت فرص الإدراك والفهم، وكان أثر التعليم أقوى ومدة بقائه أطول، ومستويات المعرفة أفضل، ولعل السبب في إيثار النبي لهذه الوسيلة التعليمية أن النبي – ﷺ– أراد أن يوضح أن هذه الأفضلية تنحصر في أربعة فقط دون أن يكون بين الأربعة تفاوت في التفاضل، وهذا المعنى المراد قد يظن أحد أنه كان في الإمكان أن يؤدى باللفظ دون الرسم، لكن حقيقة الأمر غير ذلك فلو أن النبي – ﷺ – بدأ الموقف التعليمي مباشرة بالإخبار بالأفضلية فقال ابتداء : أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ... " لظن السامعين أن هذه الأفضلية لا تنحصر في هؤلاء الأربعة، ولكان المعتقد عند بعض الحاضرين والسامعين أن النبي ذكر الأربعة على سبيل المثال لا الحصر، ولم يكن للسامع أن يتبين من أن الأربعة بينهن مساواة في تلك الأفضلية بحيث لا تفضل واحدة منهن عن الأخرى، ولظن السامع أن هناك احتمالا لوجود تفاوت في مراتب الأفضلية بين هؤلاء الأربعة، إلا أن النبي لما بدأ هذا الموقف التعليمي بهذا المخطط الذهني الذي أخذ الشكل التالي :

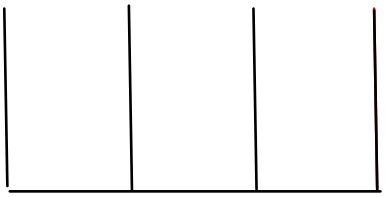

(شكل توضيحي لما خطه النبي ﷺ على الأرض)

وأخذ الصحابة ينظرون إليه لاحظوا أن النبي– ﷺ – حصر الخطوط في أربعة، وجعلها متساوية وفي هذا حصر للأفضلية في هؤلاء الأربعة، وفيه توضيح أنهن متساويات في الفضل، كما أن فيه توكيدا لأفضلية هؤلاء الأربعة على سائر نساء الجنة والتأكيد هنا قد تحقق من التكرار المستفاد من بيان هذا الحصر بالمشاهدة عن طريق الرسم، وبالسماع عن طريق القول.

ومن الملاحظ أن النبي ﷺ أخذ يتدرج مع الصحابة الكرام حتى يصل معهم إلى تمام المعرفة المصحوبة بالقناعة، فاستخدم – ﷺ– أسلوب التشويق والإثارة في بداية الحديث عندما "خط أربعة خطوط"، مما أثار فضول الصحابة لمعرفة ما وراء هذه الخطوط من معان، وزاد من شوقهم لهذه المعرفة حينما وجه لهم سؤاله قائلا: (أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟) لقد دفع هذا السؤال الصحابة الكرام الذين كانوا منتبهين منذ البداية لما خطه النبي ﷺ إلى أن يمعنوا النظر فيه بتدقيق متزايد وأن يضاعفوا تركيزهم ووعيهم فصاروا يراجعون ما عُرض عليهم مرارًا وتكرارًا ويُقلِّبون فيه أبصارهم ويُعيدون النظر فيه مليا، وأما من لم يكن قد تنبه في البداية من الصحابة الكرام، فقد جعله هذا السؤال ينتبه ويفيق ويدقق النظر ويُعمل العقل ويشحذ البصر في فهم ما أوضحه النبيﷺ وبينه، كما أن ما فعله النبي – ﷺ– جعل الراوي الحديث يبني على سرد قصصي مشوق، حيث ذكر أن الرسول – ﷺ– "خطّ في الأرض أربعة خطوط"، مما يثير فضول السامعين ممن لم يحضروا هذا الموقف ويدفعهم نحو استكمال القصة لمعرفة ما وراء هذه الخطوط، وعلى ذلك فإن ما رسمه النبي – ﷺ– يعد غاية البيان وساعد في وصول المعنى كما قصده النبي – ﷺ– دون زيادة أو نقصان بأقل لفظ وأجمل تعبير، وما فعله النبي – ﷺ– يوضح لنا أن المعلم البليغ البارع يجب أن يستعين بالأدوات المتاحة له والتي تساعده في بيان المعنى والإفصاح عنه مع قدرتها على التأثير والإقناع في المخاطب، وما سميت البلاغة بلاغة إلا لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه وهذا ما حققه هذا الحديث بأقل لفظ وأوجز عبارة وأخصر طريق، وعليه فإن ما استخدمه النبي يعد بابا من أبواب إيصال المعنى بل يعد أيضا بابا من أبواب بيان فقه المعنى، كما أن فيما استخدمه مطابقة لمقتضى الحال، فإذا علم أن من بين الصحابة من لم يكن يجيد الكتابة والقراءة وكانوا ينتمون إلى بيئة يغلب عليها الطابع الشفهي فناسبهم إيضاح المعنى بوسيلة يفهمها كل الحاضرين مع تفاوت الفروق الفردية بينهم فتجد أن وسيلة الرسم التي

استخدمها النبي – ﷺ- ناسبت من يقرأ ومن لا يقرأ، الصغير منهم والكبير، بل ناسبت إيصال المعنى للمتيقظ منهم والساهي حيث عملت على إثارة الدافعية نحو التفكير لدى المخاطبين وأدت إلى جذب انتباههم، وجعلت عملية الفهم والاستيعاب تحدث بشكل أسهل وأسرع وأوضح؛ لأن المعلومات التي تُقدم مدعومة بوسائل بصرية تكون غالبًا أسهل في التذكر والاسترجاع، فالصورة الذهنية التي يخلقها الرسم التوضيحي تبقى عالقة في الذاكرة لفترة أطول مقارنة بالكلمات المجردة، وهذا يتناسب مع حاجة الصحابة إلى حفظ تعاليم الدين ونقلها بدقة إلى الأجيال اللاحقة.

ولما كان المعنى المخبر عنه معنى سهلا بسيطا استعمل النبي -ﷺ- مخططا بسيطا ومركزًا على توضيح الفكرة لا تداخلات فيه ولا تعقيد، ليطابق رسمه مقتضى الحال.

الحديث الثاني

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ – أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ – وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"(١)

أراد النبي ﷺ أن يعلم الصحابة الكرام أمرا مهما مكونا من أمور مركبة حيث صور لهم النبي ﷺ حال الإنسان في هذه الدنيا وبيّن أن بقاءه فيها موقوف على أجله الذي أحاط به فلا مفر منه، والآفات تعرض له حينا بعد حين لتقربه من أجله، إلا أنه مع ذلك كله تجد له آمالا لا حدود لها حتى إنه يحلق بتلك الآمال بعيدا حتى تخرج عن حدود أجله وتتخطى زمن وجوده في الدنيا، وهذا المعنى الذي أراد النبي

(١) صحيح البخاري:٥/ ٢٣٥٩ ، حديث رقم(٦٠٥٤) .

أن يعلمه للصحابة الكرام من الأمور المعنوية التي لا يراها الإنسان ولا يعاينها، وهي أمور مركبة تحتاج إلى توضيح ما أبهم فيها وتفصيل ما أجمل من معانيها وإظهار لما استتر من صورها، لهذا كان من المناسب أن يستعمل النبي ﷺ التواصل البصري ليكون عونا للبيان القولي فاستعمل لذلك الأدوات المادية الملموسة التي تمثلت في الرسم التوضيحي وهو يعد هنا فنًا بلاغيًا عاليا حمل في طياته العديد من الدلالات حيث استطاع أن يصور تلك المعاني ويقربها من أذهان السامعين بالتمثيل بالمحسوسات فيقرب به ما بعد عن الأذهان ويكشف ما غمض على الأفهام ويرسخ به المعاني بأوجز عبارة وأسهل بيان، ومن يتأمل الرسم النبوي كما أوضحه راوي الحديث يجد أنه أشبه ما يكون بهذا الشكل:

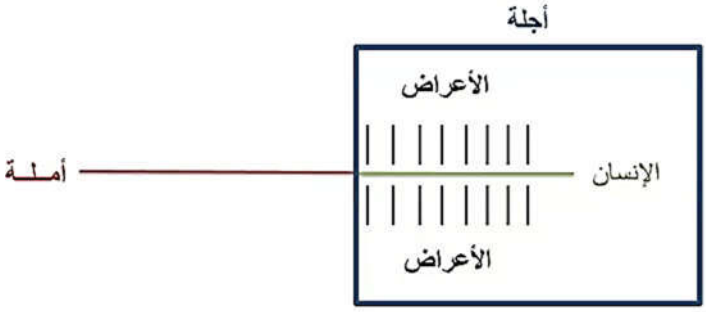

(شكل توضيحي تقريبي لما رسمه النبي ﷺ)

ومن المعلوم أن النبي ﷺ بدأ هذا الشكل برسم مربع، ثم رسم في وسطه خطا خرج من أحد جانبي المربع، ثم رسم خطوطا صغارًا داخل الشكل المربع على جانبي الخط الموجود في وسط المربع، وجعل الخط الذي هو في الوسط يعبر عن الإنسان على سبيل التمثيل، وجعل المربع المحيط به يعبر عن الأجل، وجعل الجزء الخارج عن المربع إشارة إلى الأمل وجعل الخطوط الصغار التي تحيط بالخط الموجود في الوسط هي الأعراض أي: الآفات العارضة له والابتلاءات التي تعرض عليه في

حياته، وكما أن فهم المعاني مترتب على ترتيب الألفاظ داخل الجمل، فإن النبي ﷺ في بنائه لهذا الشكل راعي أيضا الترتيب، فبدأ بالأهم وهو رسم المربع؛ لأن المخطط كله لا ينتظم إلا من خلال هذا المربع، وما بعده من أشكال إنما هو مترتب عليه وقائم به، لا يتضح إلا من خلاله.

ولا حظ أن النبي ﷺ لم يسأل الصحابة هنا قائلا لهم: (أتدرون ما هذا؟) كما فعل في الحديث السابق، بل أخذ في بيان المقصود بهذا المخطط بشكل مباشر بعدما أتم رسمه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طول الوقت النسبي الذي أخذه النبي ﷺ في تصميم هذا المخطط بالنسبة للمخطط السابق، وهذا الوقت أعطى الصحابة الحاضرين، ومن يستمعون لهذا الحديث وقتا كافيا للتفكير وإعمال العقل وإعادة النظر فيما صنعه رسول الله ﷺ ، وهذا هو المقصود من سؤال النبي ﷺ في الحديث السابق والذي كان من أهدافه أن يعطى الصحابة وقتا كافيا للتفكير في الشكل، كما أنه عند المقارنة بين الشكلين تجد أن التصميم الوارد في الحديث الأول تصميم بسيط سهل فالسؤال عنه لإثارة ذهن المخاطبين ودعوتهم نحو الاعتناء به والتفكر بما يدل عليه، أما التصميم الثاني فهو تصميم مركب يستدعي الناظرين والسامعين إلى إعمال عقولهم ويثير أذهانهم ذاتيا دون الحاجة إلى عوامل خارجية مما أغنى النبي- □- عن السؤال .

وقد شرع النبي ﷺ في البيان القولي ليفسر المقصود بهذا المخطط، مقدما ما بيانه أهم، فعلى الرغم من أن الخط الأوسط فيما خطه النبي- ﷺ- لم يكن هو بداية الرسم إلا أن النبي بدأ به بيانه؛ لأنه يشير إلى الإنسان ومعلوم أن الاهتمام هنا بالإنسان وبيان حاله والأمر كله يدور حوله وهذا الحديث وغيره إنما هي وسائل لهداية الإنسان وإرشاده إلى ما فيه صلاحه لذا ناسب ذلك البدء في الجانب القولي بالحديث عن الإنسان حتى يفهم السامع من أول وهلة أن هذا الأمر خاص بهم، واشتمل الحديث على تشبيهات بليغة يتمم بعضها بعضا وردت في تتابع تصويري

متتالي ليكون مشهداً بصرياً متكاملاً يعبر به عن الصورة بشكلها التام بأقل العبارات وأعمق المعاني حيث تآزر البيان البصري الناتج من المخطط مع البيان القولي؛ ليرسم الصورة الكلية دون إطناب فقوله: (هذا الإنسان) يقصد أن الخط الموجود في المنتصف يشبه حياة الإنسان وليس ذاته، واختار الخط للإنسان ليدل على حياة الإنسان وعمره، فكما أن لهذا الخط بداية ونهاية فعمر الإنسان كذلك له بداية ونهاية، ومن عجيب الرسم أنه جعل البداية معلومة أما النهاية فجعلها غير معلومة بدليل أن الخط امتد خارج المربع وهذا دليل على جهل الإنسان بنهاية عمره حتى إنه لينسج من وحي عقله آمالا طويلة تتجاوز ما قدر له، وقوله: (وَهذَا أَجَلُهُ مُحيطاً بِهِ) تشبيه آخر حيث شبه المربع المحيط بالخط بأجل الإنسان بجامع الإحاطة في كل، وعلى هذا يكون لدينا عمر يحيط به أجل، وكما أن المربع أحاط بالخط إحاطة تامة، فالأجل يحيط بصاحبة إحاطة تامة لا يستطيع أن يتجاوزه، وهذه الصورة التي جسدت الأجل وهو يحيط بالإنسان لها معنى نفسي دقيق حيث إنها أيقظت الخوف والرجاء وأحدثت في النفس شعورًا بالرهبة والتفكير في الزمن المحدود للحياة، ثم يأتي التشبيه الثالث (وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ) فشبه الخط الخارج من حدود المربع بأمل الإنسان التي يتوق إليه؛ ليوضح أن الإنسان مجبول على حب الآمال ودائما ما تجد له من التطلعات ما لا يستطيع أن يحققها في حياته، ويأتي التشبيه الرابع ليتمم المعنى، ويكمل الصورة (وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ) حيث شبه الخطط الصغار بالأعراض والآفات والأخطار التي تحيط بالإنسان وتعرض له بين الحين والحين، وعبر بالجمع في (الخطط، والأعراض)؛ للدلالة على كثرتها، ومن يراجع هذه التشبيهات المتتالية يجد أنها تميزت بالدقة في بيان الدلالة حيث بنيت على بيان أدق الخصائص المشتركة بين طرفي التشبيه، كما أنها كشفت عن بعض الجوانب النفسية التي أراد النبي – ﷺ– أن يسلط عليها الضوء مثل ما يعتري الإنسان من طول الأمل، والتخويف بإحاطة الأجل، والتنبيه على المخاطر التي تعتري الإنسان

وتداهمه بين الحين والحين، وفي قوله: (فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا) كناية عن كثرة تلك الأعراض وحتمية نيلها من الإنسان وإن طال عليه الزمان، وفي تكرار عبارة "إن أخطأه هذا، نهشه هذا" ما يؤكد على حتمية الموت وانتهاء الحياة وبلوغ الأجل بواحدة من تلك الأعراض التي لا تفارقه، وفي قوله: (نهشه) استعارة مكنية حيث شبه الأعراض بالحية التي تلسع، وحذف المشبه به وعبر بشيء من لوازمه (النهش) للمبالغة فيما تحدثه تلك الأعراض والآفات بصاحبها من أضرار، كما أنها تستدعي الأعراض وهي تأخذ من صاحبها في صورة مرئية ومحسوسة، مما يزيد من تأثير الحديث على نفس المخاطب، وبهذا فقد استطاع النبي ﷺ استخدام المخطط الذهني لتحويل المفاهيم المعنوية المجردة للوحة فنية دقيقة المعالم ذات صورة محسوسة وأفكار منظمة وعلاقات متماسكة متكاملة، مع شرح لتلك العلاقات المعقدة شرحا بصريا في صورة حوارية مثيرة تمزج بين الصور والكلمات، ويظهر ذلك في تحويل مفاهيم العمر والأجل والأمل والأعراض إلى أشكال هندسية، مما يعزز لدى المتلقي عملية الفهم وينمي لديه عمليات التفكير العميق غير المقيد، ويسهل عليه تصور تلك العلاقات المتداخلة بين حياة الإنسان وأجله وآماله والأعراض التي تصيبه بشكل أكثر وضوحًا ورسوخا في الذهن، مع الإيجاز والوضوح، والإقناع والتشويق والبعد عن استخدام المفاهيم الفلسفية حول الحياة والموت والأمل والتي يصعب على السامع فهمها بشكل كامل إذا ما قدمت له بالشكل التقليدي.

من بلاغة أسلوب (ضرب الأمثال) في السنة النبوية

مدخل:

يعد ضرب الأمثال من فنون البلاغة التي لها أهمية بالغة في بيان المعنى وتوضيح المراد، والحث على استحضار الحدث كما أنه يبرز" خبيات المعاني، ويرفع الأستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد "[١]؛ لأنها ذات أثر واضح في كشف المعنى المراد، وتفصيل ما أجمل، وتوضيح ما أبهم، وتقريب ما بعد عن طريق تصوير المعاني في صورة الشيء المحسوس وتجسيدها في صورة الأشخاص، فتكون أثبت في الذهن وأدوم في الفكر وأسرع في الإقناع؛ لذا سمي بضرب الأمثال وإنما اختير لفظ الضرب له؛ "لأنه يأتي به عند إرادة التأثير، وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً، ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه"[٢].

من أمثلة ضرب الأمثال في السنة النبوية

يعد ضرب الأمثال في السنة النبوية من الأساليب البلاغية العالية والصور البيانية الدقيقة التي ترسم في الأذهان لوحات بلاغية ذات أبعاد مختلفة في قضايا متعددة ومواقف تعليمية متنوعة، وقد حرص النبي – ﷺ – على استعمال هذا الأسلوب في تعليم أصحابه، فكان من الأساليب التربوية الناجحة حيث تجد له في البيان النبوي وقعا ملحوظا على النفوس، وقدرة عجيبة على إيصال المعاني المعقولة إلى الأذهان بصور حسية مؤثرة تقنع العقول وتيسر وصول المراد إلى الأفهام، ومن ذلك ما رواه

---

(١) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ):١/٧٢، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ):١/١٩٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

أَبو مُوسَى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: « «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

في هذا الحديث الشريف يوضح النبي – ﷺ – أحوال الناس المختلفة تجاه ما أتى به – ﷺ – من هدى وعلم من عند ربه سبحانه وتعالى، إذ إن الناس ليسوا على درجة واحدة من الانتفاع لكن تتباين أحوالهم وتختلف مذاهبهم، ولما كانت تلك الأحوال وهذه المذاهب من الأمور العقلية التي تحتاج في إبرازها إلى تمثيل للمعاني في صورة محسوسة يتضح بها ما غمض من خبيات المعاني، ويجعل ما بعد من تلك المعاني يحضر في الأذهان حضور الشيء القريب المأنوس للنفس؛ فقد بنى النبي – ﷺ – هذا البيان على أسلوب التمثيل، مستخدما أسلوب ضرب الأمثال وهذا النمط التعليمي البديع نزع جليل من المنازع التي تجلت فيها البلاغة النبوية حيث صور المعاني الذهنية المجردة والمراد بيانها في هذا الحديث في معرض الأمر المشاهد عن طريق تجسده في صورة مرئية تماثله وتكشف عنه باستحضار نظائره؛ تتميما للبيان حتى تصبح قريبة من العقل واضحة في مخيلة السامع، أسرع في الوصول إلى المخاطب فتترك أثرا في عقله أشد وأقوى من أثر الأفكار المجردة مع فصاحة وإيجاز لفظ ووفرة معنى، ففرق بين معنى يصل إلى الذهن من لفظ مسموع متخيّل غير مقترن بصورة ذهنية، وبين معنى كوّنه العقل من لفظة تجسدت في

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ):٣٢/ ٣٤٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

صورة ذهنية محققة تكاد تراها العين من دقة تفاصيلها والإبداع في بنائها، وقد نسج النبي- ﷺ- هذا المثل في تركيب بليغ تعددت أدواته التعبيرية ذات الدلالات التي لها قدرة عجيبة في تقريب المعاني الخفية المتوهمة، وتوضيح الأفكار البعيدة بما يجعلها في معرض المتيقن، فاستهل النبي – ﷺ – كلامه بقوله: (مثل)؛ ليوضح للمخاطبين ابتداء أن ما سيذكره إنما هو مثال مبين لأمر أراد أن يخبرهم به فوجب على كل من صح منه السماع أن ينتبه لما سيقال حتى يعي أطراف المثل وأوجه الشبه، وهذا من شأنه أن يثير الذهن ويشحذ الفكر ويجعل العقل على تأهب لاستقبال ما سيخبر به النبي – ﷺ- كما أن إيثار هذا الاستهلال فيه مزيد توضيح لأهمية ما أراد النبي – ﷺ- أن يعلمه لأصحابه وسائر أمته، فاختار الأسلوب الأنسب في بيان مراده وبنى الحديث كله على التمثيل؛ لأنه وسيلة تعبيرية تستطيع أن تنقل المعاني من صورتها العقلية إلى صورة حسية، وتجعل للمعنى المراد إيصاله وقعا على النفس أبلغ من وقعه عليها في حال لو أتى البيان في الصورة الخبرية المجردة من التمثيل؛ لأن النفس إلى المحسوس أميل، كما أن صياغة المعاني في صورة ضرب المثل يجعل السياق يجمع بين المعنى وما يماثله مما يمكن المتلقي من تحقيق القياس والوصول إلى خبايا المعاني وأصول الدلالات، كما أن التعبير بكلمة (مثل) هنا لم يقف مراده عند حد القول السائر، بل تعداه إلى الصفة العجيبة الشأن التي تشبه ذلك المثل السائر في الغرابة[1]، وهذا الأمر يجعل البداية تحمل إشارات قوية ذات دلالات مؤثرة على المخاطب بحيث تجعله منتبها لما سيلقي عليه، ولشدة حرصه –

(١) يراجع، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٢/ ٥٥،، ويراجع الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي (المتوفى ٨٩٣ هـ): ١/ ١٨٠، تحقيق: الشيخ أحمد عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ﷺ- على إيصال هذا المعنى للسامع جاءت البداية مؤكدة بـ (إنَّ) في رواية لمسلم[1]، وهذا التأكيد مرجعه حرص النبي -ﷺ- على تقرير هذا الأمر في نفوس أصحابه وتقوية مضمونه عندهم، وإثارة اهتمامهم به، وعبر بالاسم الموصول في قوله: (مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْم)؛ لأن مدار الحديث هنا عما بعث به النبي -ﷺ- وبيان حال الناس نحوه، فاختار النبي -ﷺ- القالب التعبيري الذي يظهر المعنى الرئيس للحديث في صورة الأمر الذي يكشف عما أبهم، فالنبي حينما عبر بـ (ما) الموصولية أوقع في النفس كلاما مبهما؛ تشوقت النفس إلى بيانه، فأتت الصلة مبينة لذلك الإبهام كاشفة عن المراد منه، فأحدث في النفس لذة، وكان المعنى عندها أشرف، وأعلق بالذهن وأحفظ، وإيثار (ما) على غيرها؛ لأن الإبهام فيها أوضح من غيرها، كما أن (ما) فيها معنى العموم والشمولية وهي تتناسب مع الحديث عن رسالة رسول الله -ﷺ- وما تميزت به من عموم وشمول، فهي رسالة عالمية للجميع شملت الثقلين كافة من الجن والإنس، كما أن استعمال (ما) نثر على الصلة معنى التفخيم والتهويل لما فيها من مزيد إبهام وغموض، فهي رسالة ذات شأن عظيم وقدر كبير، وهذا كله من أساليب التأثير والإقناع التي يهيئ بها النبي- ﷺ - من يخاطبه حتى يُؤتِي كلامه أُكُلَه في كل زمان ومكان، ويناسب الموقف التعليمي الذي يعالجه النبي -ﷺ- .

وعبر النبي – ﷺ – بـ(بعثني) دون (أرسلني)؛ لأن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة، إذ إن فيه معنى الإثارة والحركة، كما أن فيه معنى إحياء الموت[2]، وهذه

---

(١) صحيح مسلم، :١٧٨٧/٤.

(٢) يراجع معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مادة (ب ع ث) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ولسان العرب (مادة: ب ع ث)

المعاني ذات أهمية كبيرة في بناء الصورة الكلية، حيث إن النبي – ﷺ – لم يقصد مجرد عملية الإرسال فحسب وإنما قصد بيان أثرها، ومعلوم أن الأثر لا يدرك إلا بالحركة أو الإثارة، ومن أهم الأثار التي ترتبت على بعثته –ﷺ– إحياء القلوب بعدما كادت أن تموت، كما أن التعبير بالبعث وما يحمله من معانٍ زائدة جعل هناك تناسبا بين طرفي التشبيه (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا) فالبعث بما فيه من حركة وإحياء بعد موت، ناسب عملية نزول المطر وما يلازمها من حركة للرياح وإثارة للسحاب وما ينتج عن ذلك من إحياء الأرض بعد موتها، وقوله: (مِنَ الهُدَى والعِلْم) بعد قوله: (مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ)، تخصيص بعد عموم؛ لأن قول النبي – ﷺ– (ما بعثني الله به) يدخل فيه كل ما أتى به النبي– ﷺ– من عند ربه، فأتى بقوله: (مِنَ الهُدَى والعِلْم) ليشكل صورة المشبه في إطار محدد، ويوضح الجانب الذي يراد إظهاره في المشبه، وقيل: إنه جمع بين الهدى والعلم؛ لأنهما يمثلان "الطريقة والعمل"(١)، وقيل: جمع بينهما نظراً إلى أن الهدى بالنسبة إلى الغير أي التكميل، والعلم بالنسبة إلى الشخص أي الكمال، وقيل: جمع بينهما؛ لأن الهدى هو الدلالة والعلم هو المدلول(٢)، وقيل: جمع بينهما لأن" المراد بالهدى: القرآن...والعلم هو ما عدا القرآن من الأحكام التي دلت عليها الأحاديث"(٣)،

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ):٦١٦/٢، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٥٥/٢.

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري،:١٨١/١.

وقدم الهدى على العلم؛ " ؛لأن الهدى وسيلة إلى العلم"[١] وقيل: قدم الهدى وعطف عليه العلم " من عطف المدلول على الدليل؛ لأن الهدى هو الدلالة الموصلة إلى المقصد، والعلم هو المدلول"[٢]، وقيل: "لأن العِلْم راجعٌ لنفسه، والهدى راجعٌ للغير"[٣]، وعبر بـ(كمثل) جامعا بين الكاف ومثل في قوله: (كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ) ؛ لأنهم "إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة أعنى وصفين منتزعين من متعدد أتوا في جانب المشبه والمشبه به معا أو في جانب أحدهما بلفظ المثل وأدخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ... وذلك ليتبادر للسامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بذات ولا حالة بذات"[٤] والصورة التي أراد النبي -ﷺ- بيانها تتكون من طرفين مركبين فالمشبه عبارة عن حالة مركبة من الهدى بما يدل عليه والعلم وما يراد منه وكلاهما قد كونا صورة مركبة، والمشبه به هو المطر وما له من أحوال مع الأرض وعبر بـ(الغيث)؛ لأن الغيث يستخدم في الخير والنفع، وفيه إغاثة للخلائق الذين أصيبوا بموت القلب وابتلوا بنضوب العلم، وفيه

---

(١) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (المتوفى: ٨٥٤ هـ):١٥٦/١، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ): ١/ ٢٤٧، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية -الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

(٣) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ): ٣٩٧/١، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،٣٠٣/١: ٣٠٤: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

إحياء للأرض الميتة وهذا يتناسب مع ما أتى به النبي-ﷺ- من خير أغاث الله به الناس فأحيا قلوبهم بعد موتها، كما أن هناك وجه شبه بين العلم والغيث تمثل في "أن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت، واختار الغيث من بين سائر أسماء المطر ليؤذن باضطرار الخلق حينئذ إليه - ﷺ - كاضطرارهم إلى المطر"(١)، كما أن كليهما أعنى الغيث، وما بعث به النبي- ﷺ - يتفقان في جهة النزول والغرض فكلاهما نازل من جهة السماء بغرض النفع والتطهير للأرض وأهلها، ووصف الغيث بـ(الكثير)؛ ليتناسب مع غزارة عطاء الهدى والعلم الذي أتى به النبي -ﷺ-، كما أن وصفه بالكثير فيه إيحاء بكثرة ما سينتج عنه من إنبات، فكلما زاد الغيث زاد معه الإنبات كمًا ونوعًا، وورد في رواية مسلم (كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ)(٢) حيث أتى بـ(غيث) نكرة دون أن توصف بالكثرة، ولعل ذلك لأن الكثرة مفهومة من التنكير المفيد الكثرة: أي غيث عظيم كثير، ولعظم هذا الغيث اتسعت رقعة إصابته للأرض ويظهر ذلك من تنكير (أرض)، ودل التنكير هنا على أنها أرض مترامية الأطراف شاسعة لا يعرف لها حدود متنوعة الطباع، مما جعل لكل مكان منها طبيعة تختلف عن غيره، وهذا التنكير المستفاد منه هذا العموم يتناسب مع عموم رسالة النبي- ﷺ-؛ لأنها ليست خاصة بمكان بل هي لعموم الناس في شتى بقاع الأرض، والتعبير بـ(أصاب) يتناسب مع الغيث لأن أصاب يدل على نزول شيء واستقراره، وصابَ الغيثَ بمكان كذا وكذا وصابَتِ السَّماءُ الأَرضَ جادَتْها وصابَ الماءَ وصوَّبه صبَّه وأَراقَه(٣)، فاستعمال كلمة (أصاب) تدل على غزارة الماء النازل حتى إنه أصاب

---

(١) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ): حققه وخرج أحاديثه:١٤٩/٢، أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) صحيح مسلم:٤/ ١٧٨٧ .

(٣) لسان العرب، مادة (ص وب).

كل جزء على تلك الأرض، وهذا يتناسب مع غزارة الفائدة التي تتحقق مما بعث به النبي – ﷺ– من الهدى والعلم، وفي قوله: (أصاب أرضا) إجمال وما بعده (فَكَانَ مِنْهَا...) تفصيل وبيان لأحوال هذا الغيث في الأنحاء المختلفة من تلك الأرض، فيكون العطف في (فكان) من عطف المفصل على المجمل؛ لأن قوله: (أصاب أرضا) هو عبارة مجملة لا توضّح معالم وحدود المشبه به فأتى التفصيل في صوة التقسيم؛ لاستيفاء أقسام المعنى المراد وتوضيح تلك المعالم وهذه الحدود بحيث تتّضح أجزاء المشبه به ومستوياته وحدوده بشكل مفصّل يتحقق معه الفائدة المرجوة، كما أن هذا النسق التعبيري الذي نسج عليه المشبه به حث المخاطب على متابعة البيان في محاولة إلى الوصول إلى المعنى المراد والصورة المفصلة للمشبه به خصوصا وأن المشبه به هو الذي يبرز وجه الشبه ويوضحه، فلما لم يتضح المراد عند قوله: (كمثل غيث أصاب أرضا) أتى بعدها بقوله: (فَكَانَ مِنْهَا...) لتوضيح ما أجمل فإذا تم ذلك تمكن المعنى في النفس فضل تمكن؛ " لأن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم"[1]، وقوله ﷺ: (فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ) **يمثل القسم الأول** من أقسام تلك الأرض التي نزل عليها الغيث، ولما كان هذا القسم يقابل أكثر الناس تحصيلا للفائدة من الهدي الذي أتى به النبي – ﷺ–، فقد عبر عنه بما يناسبه، في قوله: (نقية) وهي صفة لموصوف محذوف تقديره (بقعة نقية)، ومن الملاحظ أن النبي–ﷺ– اختار لفظة تتناسب مع هذه القطعة من الأرض فعبر بـ(نقية) و النُّقاوة أَفضلُ ما انتَقَيْتَ من الشيء، وشيء نَقِيٌّ أَي نظيف ونُقاوة الشيء

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ):١٨٦، دار إحياء العلوم – بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

خِياره[١]، وحذف الموصوف لما في الحذف من إيجاز وتفخيم، وكأن هذه البقعة اشتهرت بهذا الوصف الطيب حتى عرفت به؛ لهذا فإن هذا القطعة من الأرض الطيبة التربة النقية الخصبة حينما نزل عليها الغيث اهتزت وربت فانتفعت بالماء في نفسها حتى وصل إلى أعماقها فأصبحت خصبة حية بعد جدب وموات، وصارت ذات نضرة وجمال، ثم أخرجت نباتها رطبا ويابسا؛ لينتفع به الغير فأكل منه الإنسان ورعاه الحيوان، وعبر عن ذلك بقوله: (فأنبتت الكلأ والعشب الكثير)، وهذا من ذكر الخاص بعد العام؛ لأن الكلأ يطلق على النبات سواء رَطْبه أو يابسه، أما العشب فللرطب فقط[٢]، وهذا من باب بيان التنوع الذي ينتج من إنبات هذه الأرض الطيبة، مع التأكيد والاهتمام على الجانب الرطب؛ لأنه أعلى فائدة وأكثر طلبا من غيره، وفيه إشارة إلى تفاوت مراتب العلماء في العطاء، وفي إسناد الإنبات لهذه الأرض في قوله: " فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ " مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأن الفاعل الحقيقي هو الله وإنما أسند الإنبات هنا لتلك الأرض للإشارة إلى فضلها وحسن صنيعها، وهذا ينعكس على الفئة التي تمثلها تلك الطائفة من الأرض ويبرز أجرها لما كان منهم من نفع أنفسهم وغيرهم، وقوله (الكثير) للتأكيد على كثرة العطاء، وهو يتناسب مع وصف الغيث بالكثير، وهذا هو حال الطائفة التي تلقت الهدى والعلم عن النبي -ﷺ- من العلماء العاملين المعلمين الذين تعلموا العلم وحفظوه وتفقهوا في الدين حتى وعوا معانيه ومقاصده، فتفجرت منهم ينابيع الحكمة والعطاء وتعلم الناس من علمهم، فحققوا النفع لأنفسهم بأن أحيا الله به قلوبهم وحققوا النفع

---

(١) لسان العرب: مادة (ن ق ى)

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)١/ ٦٩، ١٤٥، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

لغيرهم بأن علموه للناس، وبهذا يتجسد الأثر الطيب لهذه الطائفة في صورة حسية مشاهدة تبصرها العين بما يجعل للكلام في النفس موقعا جليلا ولطيفا، ويزيد النفس به أنسا ويملؤها طربا ويجعلها به أضَنّ وأَشْغَف.

أما الطائفة الثانية: فقد وصفها الرسول --ﷺ-- بقوله: (وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا)، فـ(أجادب) صفة لموصوف محذوف تقديره بقاع أجادب، وفي التعبير بـ(أجادب) ما يدل على أن هذه الصفة متوفرة في الأرض أكثر من الأولى لأنه عبر بجمع الجمع فأجادب جمعَ أَجْدُب الَّذِي هُوَ جَمْعُ جَدْبٍ، وهي صِلابُ الأَرضِ التي تُمْسِك الماءَ فلا تَشْرَبه سريعاً وقيل: هي الأَراضي التي لا نَباتَ بها مأْخُوذ من الجَدْبِ وهو القَحْطُ [1]، وهذا الجمع دل على أن الموصوف متعدد لا مفرد، فإذا كانت الأولى بقعة طيبة، فهذه بقاع أجادب، بل إن التعبير بجمع الجمع يشعر بمزيد في معنى الكثرة، وهذا التعبير يتناسب مع ما يقابله من الطائفة التي يشير إليها فهو يشير إلى طائفة تلقت ما جاء به النبي -ﷺ- فحفظته "بقلوب واعية متهيئة لقبول العلم لكن ليست لهم أفهام، ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والأحكام، ولا اجتهاد عندهم، فهم يحفظونه حتى يأتي متعطش لما عندهم فينتفع به ويروىَ منها ويَرِدُ على منهل يحيا به"[2]، فهذه الطائفة من أهل الحفظ والرواية ممن لم يبلغوا في العلم مرتبة الاجتهاد والاستخراج، أكثر من

---

(١) لسان العرب مادة (ج د ب).

(٢) ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ):١/ ١٦٤، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ):١٧٣/٧، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

الطائفة الأولى التي أعطاها الله الحكمة فأعملوا الاجتهاد واستخرجوا الأحكام، وتأمل هنا أن النبي-ﷺ- أسند النفع الحاصل لله -عز وجل -على الحقيقة دون أن يسنده لهذه الطائفة من قبيل المجاز على نحو ما أتى مع الطائفة الأولى حينما أسند الإنبات لها على سبيل المجاز العقلي ولعل في ذلك إشارة إلى أن هؤلاء وإن لم يستطيعوا إحداث النفع لأنفسهم إلا أن الله سخرهم ليكونوا أداة لحفظ تلك المعارف وجسرا يعبر النفع من خلاله إلى غيرهم فينتفع الناس به، فلما كان فعلهم في المنزلة أقل شأنا من فعل الطائفة الأولى لم يسند إليهم الفعل ولو على سبيل المجاز، وفي قوله- ﷺ- (فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا) دليل على أن هذه العلوم التي حملوها بها منافع كثيرة ومتنوعة لكن ليس كل من حملها يفيد منها، مصداقا لقول النبي -ﷺ- " «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» "[1]، ومن الملاحظ أن هذه الطائفة عند الحديث عنها لم يسبقها التصريح بذكر كونها طائفة بخلاف الطائفة الأولى والثالثة، فعند الحديث عن الأولى قال: (فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ)، وعند الحديث عن الثالثة قال: (وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى)، أما عند الحديث عن الثانية فقال:(وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ) دون أن يخصصها بكونها طائفة، ولعل النبي ﷺ قد جمع في المثل بين الطائفتين الأولى والثانية لاشتراكهما في حصول النفع للغير وكونهما وسيلة لنقل العلم ونشره وكأن بين الطائفتين صلة ورحم وإن كان بينهما تفاوت في القدر والمنزلة؛ لذلك عطف قوله : "(أصاب منها طائفة) على (أصاب أرضاً) والضمير في (منها) يرجع إلى مطلق الأرض المدلول عليه بقوله: (أرضاً)، ثم قسمت الأرض قسمين، فيلزم اشتمال الأرض الأولى على الطائفة الطيبة وعلى الأجادب"[2] وقسم للطائفة الثالثة، وأفرد الطائفة الثالثة لعدم حصول النفع منها

---

(١) سنن الترمذي ، ٥/٣٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح :٢/ ٦١٧.

بأي شكل فهي لا تنفع نفسها ولا تنفع غيرها ولا ينقل العلم من خلالها، ويعضد ذلك مجيء ما يقابلها من أحوال الناس قسمين فقط، قسم جمع الطائفة الأولى والثانية، وقسم للطائفة الثالثة، ولاحظ إثبات إنبات الكلأ في الطائفة الأولى ، وإمساك الماء في الثانية، ونفيهما معا في الطائفة الأخيرة مما يدل على أن الطائفة الأخيرة أتت لتقابل الأولى والثانية .

أما الطائفة الثالثة فقد عبر عنها النبي – ﷺ – بقوله: (وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً) فهذه الأرض الخبيثة التي نزل عليها الغيث لم تنتفع به حيث لم يخرج لها نبتا ولا ثمرا ولم تحفظ الماء لينتفع به غيرها من إنسان أو حيوان، وهذه الأرض تشبه الفئة التي تلقت ما أتى به النبي – ﷺ بنفس خبيثة وفطرة فاسدة، فلا تجد لهم قلوبا تحفظ العلم، ولا عقولا تفهمه، فإذا وصل إليها شيء من العلم لم تحقق لنفسها نفعا، ولم تكن سببا في نقله لغيرها لينتفع به، وقد بنى النبي – ﷺ – حديثه عن تلك الفئة على أسلوب القصر، والقصر هنا أتى قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا؛ ليؤكد حقيقة تلك الطائفة وأنها لا تعدوا كونها قيعانا أي أرض ملساء مستوية[1]، وهذه الصفات لا تجعل تلك الأرض تمسك ماء ولا تنبت زرعا، وقد أزال هذا القصر أي وهم قد يعتري السامع من أن تكون لهذه الأرض أي قدرة على الاحتفاظ بالماء أو إنبات العشب، فأتى القصر لينفى عموم النفع عن هذه الأرض ويكشف حقيقة الفئة التي تمثلها تلك الأرض إذ إنها فئة أصرت على أن تحصر نفسها في صفات وأفعال جعلتها ممن لا يقبل هدى ولا ينتفع بعلم، ولما كان هذا المعنى متوقعا للسامع كنتيجة للقسمة التي أوردها النبي – ﷺ– لأن المخاطب عند سماعه القسمين السابقين تتهيأ نفسه للقسم الثالث فتدرك طبيعته قبل سماعها؛ لهذا استخدم النبي (إنما)التي تدخل على المعاني

(١) مقايس اللغة مادة (ق وع)

المأنوسة القريبة من النفس ولا تدخل على الحقائق الغريبة والأفكار البعيدة، وتجد الكلام السابق عليها كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها وتمهيدا له حتى لتكاد النفس اليقظى والفهم المتسارع يدرك الفكرة التي دخلت عليها قبل قراءتها وسماعها(١)، وقوله: (لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كلاً) تأكيد لم قبلها إذ إنها تلتقي مع ما قبلها في المعنى لأنها ما دامت تلك الأرض قيعانا فهي لن تحتفظ بماء ولن تنبت زرعا، إلا أن قوله: (لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كلاً) أبلغ وآكد في بيان عدم النفع المطلق لنفسها أو لغيرها، وقد سلط النفي على الأفعال المضارعة؛ للدلالة على أن هذا الأمر متجدد ومستمر في طبيعة تلك الأرض فهي لا يرجى منها نفعا ولا صلاحا، وأتى بـ (ماء و كلأ) نكرتين؛ ليفيد الشمول والعموم وهذا يتناسب مع حال تلك الفئة التي رفضت ما أتى به النبي- ﷺ- رفضا كليا قاطعا دون أن تكلف نفسها النظر فيه لتقدم حجة واضحة أو دليلا مقنعا لهذا الرفض، ولاحظ التصريح بنفي الإنبات بعد نفي إمساك الماء، مع أن نفي إمساك الماء يفهم منه نفي الإنبات، إلا أن التصريح بنفي الإنبات فيه مزيد تأكيد على عدم وجود المنفعة بكل أشكالها، وفي نفي الإنبات اكتفى هنا بإنبات الكلأ دون العشب؛ لأن في نفي إنبات الكلأ نفي لغيره، كما أن عدم العطاء هنا لا يوجد فيه درجات مختلفة كعطاء الطائفة الأولى التي تنوع عطاؤها واختلفت درجاته.

ومن الملاحظ أن النبي -ﷺ- بنى الصورة الكلية على التشبيه مستخدما اللف والنشر المرتب فجعل ما بعث به من الهدى والعلم مشبها، وجعل الغيث الذي نزل على الأرض بأقسامها المتعددة مشبها به، ثم عاد فجعل المشبه به مشبها ليكمل الصورة الممتدة، ويجعل الكلام يرد بعضه على بعض ويوضح المقصود بالمثل في

(١) ينظر دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى ١٥٥- ١٥٧، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م

واقع الناس ليضع بذلك معيارا واضحا يعرف به كل واحد من أي طائفة يكون، فقال: (فَذَلِكَ مَثَلُ...)، إلا أنه في تقسيم الأرض ذكر ثلاثة أقسام، في حين أنه جعل ما يقابلها من أحوال الناس قسمين فقط، وذهب العلماء في ذلك مذاهب مختلفة منها أنه "ذكر من الأقسام أعلاها وأدناها وطوى ذكر ما بينهما لفهمه من أقسام المشبه به المذكورة[1]، وقيل " لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه منتفع به، وكذلك الناس قسمان: أحدهما من يقبل العلم وأحكام الدين، والثاني من لا يقبلهما هذا يوجب جعل الناس في الحديث على قسمين: أحدهما ينتفع به، والثاني: لا ينتفع[2]، وقيل: ويحتمل الحديث تثليث القسمة في الناس بأن يقدر قبل لفظة نفعه كلمة (من) بقرينة عطفه على من فقه ... وحينئذٍ يكون الفقيه بمعنى العالم باللفظ مثلاً وفي مقابلة الأجادب والنافع في مقابلة النقية على اللف والنشر غير المرتبين ومن لم يرفع في مقابلة القيعان"[3]، وسياق الحديث ونظم الكلام يعضدان كون الطائفة الثانية من الأرض داخلة ضمن الطائفة الأولى ، حيث إن كلتا الطائفتين حصل فيهما النفع، وكلتيهما محمودتان، لهذا أتى بأحوال الناس على قسمين؛ القسم الأول هو القسم المحمود الذي يقابل المحمود من الأرض وذلك في قوله: (فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ)، وفي التعبير باسم الإشارة(فذلك) ليتمكن الذهن من استحضار تلك المشاهد العقلية السابقة التي بينها النبي- ﷺ- في الحديث وفسرها بالمشاهد المحسوسة لنقل

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ): ١/ ١٨٠، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦١٧/٢

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٥٨/٢

المعنى العقلي المجرد إلى عالم الحس، أما القسم الثاني فهو القسم الذي يمثل الفئة المذمومة و يقابل الطائفة الخبيثة من الأرض وعبر النبي عنها بقوله: (وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) فقوله: (مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا) كناية عن إعراض هؤلاء ونفورهم عما أتى به النبي – ﷺ– من عند ربه، وعدم اهتمامهم به، حتى إنهم لم يبذلوا أي جهد لمعرفة حقيقة هذا الأمر، وآثر النبي هنا التعبير بـ(الرأس)؛ لأنها أشرف أعضاء الإنسان وفيها العقل الذي هو مناط الفكر والتمييز، كما أن فيها الحواس التي عطلوها أمام الهدي النبوي، ولو أنهم رفعوا رؤوسهم ونظروا في هذا الهدي وسمعوه وقرأوه وعقلوه ما كان هذا حالهم، فقوله (مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا) كناية عن تعطيل كل هذه الحواس أمام هذا الهدي، وفي استخدام اسم الإشارة (ذلك) ما يدل على جلال ما رفضوه وعلو شأنه وفي هذا تنكيل بهم وذم لفعلهم وتشنيع بحالهم، وفي قوله: (وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) تأكيد لما قبله إذ إن الجملتين وإن اختلفا منطوقهما إلا أنهما اتفقتا في المعنى فمن كان حاله الإعراض والنفور عن دين الله فإنه لن يقبل هدى الله، وفي ذلك مزيد ذم لهذه الطائفة التي ضيعت على نفسها الخير الكثير وذلك بإعراضها عن هذا الهدي، كما أن إضافة الهدى لله فيه تعظيم لهذا الهدى وبيانا لقدره وأنه جدير بأن يقابل بالقبول وعليه يكون ذلك أيضا ذما لتلك العصبة، وفيه دعوة لمن أعرض بالرجوع وتقبل هذا الهدي والعمل به، وفي قوله: (أُرْسِلْتُ بِهِ) ما يجعل الحديث يختم بمثل ما بدأ به ليشير إلى أن هذه الرحلة البيانية المباركة إنما هي تدور في فلك واحد ومقصد واحد من بدايتها حتى نهايتها حاملة في طياتها معان مترابطة، إلا أنه من الملاحظ أنه ذكر في الختام لفظ (أرسلت به) دون بعثت به مع أنه عبر في البداية بالبعث، وعبر مع الطائفة المحمودة أيضا بالبعث في قوله: (مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ) والتغاير في التعبير فمرده إلى دقة التعبير النبوي الشريف واختيار اللفظ المناسب للمكان المناسب، فالتعبير في البداية بالبعث فمرجعه أن بداية الحديث تصف حقيقة ما أتى به النبي

ﷺ وأن فيه غوثا للبشرية وإحياء للقلوب، وعليه فالتعبير بالبعث في البداية يعد من براعة الاستهلال وبيان أن الأصل فيما أتى به النبيﷺ هو أن يتلقى بالقبول ليجد الإنسان أثره، أما نهاية الحديث فتتناول الطائفة التي لم تنتفع بما أتى به النبي فناسبها التعبير بالإرسال، وأما التغايير في التعبير مع الفئتين فراجع إلى طبيعة وصف الأثر الحادث لكلتا الفئتين، فمتى حدث النفع مما أتى به النبي وتقبلته النفوس وأحيا الله به القلوب عبر عنه بالبعث، ومتى لم تقبله النفوس ولم تتأثر به القلوب عبر عنه بالإرسال، وبهذا فقد استطاع النبي ﷺ أن يصور للمتلقين المعنى المراد في لوحة كبيرة اشتملت على مشاهد جزئية جسدت المعنى في بناء تركيبي اعتمد على عرض المعاني العقلية في صورة نظائرها المرئية مستخدما ضرب الأمثال الذي لم يكن مجرد أسلوب بياني، بل كان أداة تعليمية وتربوية فعّالة ومناسبة تمامًا لتحقيق مقصد الحديث، حيث نجح في تجسيد المعاني، وعرضها وإبراز المراد في أحسن صورة وأوجز وتقريبها إلى الأذهان وتبسيط المفاهيم المجردة وتصنيف الفئات بوضوح، وتقسيم أنواع استجابة الناس للرسالة الإلهية بصورة محسوسة وراسخة في الذاكرة تاركة أثر بليغ ومستمر في نفس السامع.

من بلاغة أسلوب (الحوار والمناقشة) في السنة النبوية

مدخل:

تعتبر استراتيجية الحوار والمناقشة عملية تفاعلية يوجه فيها المعلم المتعلمين نحو التفاعل الإيجابي في المواقف التعليمية المختلفة بغية الوصول إلى المعرفة بسهولة، كما أنها تعمل على إثارة الطاقات الكامنة لدى المتعلمين مما تجعلهم أكثر فاعلية في الموقف التعليمي فتنقلهم من المواقف السلبية إلى المواقف الإيجابية وتحدو بهم نحو المشاركة الإيجابية بالخبرات والأفكار والمعارف السابقة، حتى يتمكنوا من تثبيت المعارف الجديدة، وهذه الطريقة تقوم على "الحوار والنقاش اللفظي بين المعلم وطلابه، باستخدام السؤال والجواب من جانب المعلم، أو من جانب الطلاب"(١)؛ ليتمكن المتلقي من الوصول إلى المعلومة الصحيحة أو يتمكن من تقريرها ومن ثم تثبيتها في الذهن؛ كما أن أسلوب الحوار" يتضمن تبادلاً للآراء والأفكار والمشاعر بين المعلم والمتعلم، وبين المتعلمين، ويستهدف تحقيق أكبر قدر من الفهم والتفاهم بين الأطراف المشاركة؛ لتحقق أهدافاً معينة يسعى المشاركون في الحوار إلى إنجازها"(٢) .

من أمثلة الحوار والمناقشة في البيان النبوي

يعد الحوار والمناقشة من الطرق التي حرص النبي ﷺ على استخدامهما كوسيلة فعالة لتعليم أصحابه وتوجيههم، وقد تجلت بلاغته -ﷺ- في اختيار المواقف التي عالجها النبي بهذه الطريقة، كما تجلت بلاغته أيضا في النمط الذي بنى عليه حواره،

---

(١) أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية، أحمد اللقاني: ١٢٤، عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م .

(٢) الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه ، منى ابراهيم اللبودي: ٦٥، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبه للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

ومن يتتبع هذا الأسلوب التعليمي في البيان النبوي يجد تنوعا واضحا في بنائه التركيبي حسب مقتضى الحال ومتطلبات المقام فتراه أحيانا يأتي بجملة تبدو للوهلة الأولى بأنها غريبة مما تثير لدى المخاطب سؤالا يحتاج منه إلى إعمال فكر، وأحيانا كان يستهل النبي -ﷺ- كلامه بسؤال مشوق يحمل أمرا جليلا فيحدث لدى السامع ترغيبا في معرفة الجواب مما يجذب انتباههم ويعمل الفكر لديهم؛ وأحيانا تجد النبي يوجه لأصحابه سؤالاً يحمل أبعادا مختلفة ودلالات متعددة ويستمع إجاباتهم ثم يناقشهم مصوبا لهم ومصححا(١)، وأحيانا ما كان يستخدم الحوار والمناقشة لتصحيح الأفكار الخاطئة فتراه يعمد لتصحيح تلك الأفكار تصحيحا يقوم على القناعة وذلك عن طريق الحوار والمناقشة، كما أن المتأمل في صياغة الحوار في الحديث النبوي يجد تنوع الأسلوب بتنوع المقامات فقد يتسم الحوار بنبرة عالية، فتجد الألفاظ قوية والعبارات جزلة، وأحيانا تجد الحوار يتسم بالهدوء، فتأتي ألفاظه رقيقة وعباراته سهلة، كل ذلك كوسيلة مناسبة يوقظ بها النبي ما في الأذهان، ويثير ما كمن في الوجدان ويفتح الطريق للمعاني للوصول إلى أعماق القلوب، ومن أمثلة ذلك في حديث النبي ما ورد عن أَبِي أُمَامَةَ أنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ:

(١) يراجع الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته وكتبه، تأليف د/ محمد الصباغ، ٨٣: ٨٩، ط ٧ بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٠٧م.

«أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (١)

اشتمل هذا الحديث النبوي على موقف تعليمي استطاع النبي – ﷺ– أن يعالجه معالجة حكيمة مستخدما الحوار والمناقشة، ومن الملاحظ أن أحداث هذا الموقف تدور مع شاب قوي انساق خلف شهوته العارمة حتى ألجأه حاله إلى أن يطلب الإذن بالزنا بين يدي الرسول –ﷺ– وأمام الصحابة الكرام – رضى الله عنهم – وحضور هذا الشاب بين يدي سول الله–ﷺ– يكشف عما بداخله من تدافع شديد بين الشهوة، وبين الخوف من الفعل، إذ إنه لو لم يجد في نفسه زاجرا لانساق خلف شهوته دون طلب الإذن من النبي –ﷺ–، وقد لمح النبي –ﷺ– هذا التدافع واستشعر جانب الخوف عنده مما جعله يعالج هذا الموقف بطريقة الحوار والمناقشة التي من شأنها أن تعلى من جانب الخوف والزجر لديه وأن ترده عن الانسياق خلف شهواته بالقناعة التامة حتى لا يبقى في نفسه شيء من هذا الأمر إذ إن الحوار له دور كبير في ترسيخ القيم ومحاربة الأهواء المتطرفة والانحراف الفكري ووأد الفتن في مهدها بالحجة والبرهان، وهو من أهم الوسائل التي يمكن للمعلم أن يصل بها مع المتعلم إلى الحق والصواب بعيدا عن التعصب والهوى أو التعنيف، ومن الملاحظ أن الصحابة حاولوا كفه وإبعاده بقولهم:(مه مه) أي اكفف، أو اسكت، وكرروا قولهم للتأكيد عليه بالانصراف عن طلبه، إلا أن النبي –ﷺ– لم يوافقهم على فعلهم لأنه لو أمره بالكف عما طلب دون أن يحاوره ويقنعه، لظل قلبه متعلقا بما أتى من أجله، ولنزل فريسة سهلة لشهوته، إلا أن النبي–ﷺ– حرص على أن يعالج الموقف بأسلوب الحوار الذي اتسم باللطف والهدوء مع هذا الشاب رغبة في أن يطفئ شهوته

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل،:٣٦/ ٥٤٥ .

ويرده عن فعله بقناعة ورضى نفس، وقوله -ﷺ - (ادْنُهْ) اشتمل على إيجاز بديع ودلالات تربوية عظيمة، حيث استطاع بكلمة واحدة ذات حروف قليلة أن ينهي موقف الثائرين على طلب هذا الشاب دون أن يوجه له اللوم أو العتاب أو أن يرفع صوته عليه، متفهما ما بداخله من تدافع بين جانبي الخير والشر المتمثلين في لوم النفس وخوفها من فعل أمر محرم، وبين قيود الشهوة المتقدة بعنفوان الشباب فتعامل معه ﷺ . بمنطق الإقناع العقلي مع الشفقة والحب؛ ليقضي على جانب الشر ويعلى جانب الخير حتى يرده إلى رشده، ويعود به إلى طريق العفة والاستقامة، كما استطاعت هذه الكلمة أن تمهد لهذا الأمر عن طريق نزع الروع من نفس الشاب بطلبه الدنو منه أي القرب، وأن تلقي السكينة في قلبه بعدما انتابه الهلع من ثورة الحاضرين مع أن الشاب طلب أمرًا محرمًا، ولما كان الموقف قد حدث فيه تداخلا بين الحاضرين حتى علت الأصوات بالصياح[1] والزجر الموجه لهذا الشاب فأحدث اضطرابا في نفسه مما ناسبه التعبير بهاء السكت التي هي وقف يحدث في الكلام دون أن يقطع معناه، فهي ليست مجرد توقف عن الكلام فحسب، بل هي فن استخدام الصمت لإبراز المعنى المطلوبة، وإثارة ذهن المخاطبين، وجذب انتباههم لأمر يقصده المتحدث، ففي إلحاق هاء السكت بالفعل هنا يوحي بطلب السكينة في نفس المخاطب، وفيه طلب من طرف خفي إلى الثائرين بأن يلتزموا أيضا السكينة والسكوت حتى يتولى النبي -ﷺ - معالجة الأمر بنفسه، وفي هذا درس تربوي كبير قصد النبي- ﷺ - أن يعلمه لأمته حتى يتمكنوا من إدارة مثل هذه المواقف إدارة حكيمة، حيث استطاع النبي - ﷺ - أن يكسر حاجز الخوف والتوتر لدى الشاب، ليشعره بالأمان والقبول، مما هيأ بيئة

(١) كما ورد في مسند الشاميين (فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ) مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ):١٣٩/٢، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤

مناسبة للحوار الصريح والمفتوح، وبهذا فإن النبي يؤسس ببلاغته لمبدأ تربوي وهو أن بناء هذه العلاقة الفورية من الثقة بين المعلم والمتعلم هو حجر الأساس لنجاح أي عملية تربوية.

وفي إيثار التعبير بالدنو ما جعل أمره – ﷺ – في قوله (ادنو) يجمع بين الدنو الحسي البدني، والقرب المعنوي، فالنبي– ﷺ – لم يقصد منه فقط أن يدنوا منه بجسده بل أراد أن يقترب منه بحواسه حتى يجد لكلامه أثرا، فالمعلم الناجح لا يكتفي بحضور المتعلمين جسديا بل يعتني بالحضور الذهني، فإن لم يجمع بين الحضورين فلن تتم العملية التعليمية بشكلها المرجو، وفي قول الراوي: (فدنا) دليل على سرعة استجابة الشاب لطلب النبي – ﷺ – وكأنه وجد في طلبه النجاة والملاذ مما أحاط به من ثورة الثائرين وإنكار المنكرين وفيه أيضا إشارة إلى أن الشاب ظهرت عليه ملامح الطاعة فتهيأ لاستقبال النصح النبوي، ومن الملاحظ أن النبي –ﷺ– رتب أحداث الموقف ترتيبا دقيقا، حيث تدخل في الوقت المناسب ليمنع حدوث تصادم بين الشاب والحاضرين، ثم أمر الشاب بالدنو فأزال الرهبة والاضطراب، فكانت الاستجابة من الشاب سريعة إذ فر مسرعا ليحتمي بهذا الملاذ الآمن، وما فعله النبي هو تنظيم للموقف وتحديد للأدوار ودعم الجانب النفسي عند المتعلم وتهيئته للحوار وهذا يدل على حسن التدبير، كما تعد هذه الأمور من الأسس العلمية الحديثة التي تقوم عليها استراتيجية الحوار والمناقشة، ولم يكتف النبي – ﷺ – بمعالجة الأمر بالأسلوب العاطفي، بل ضم إليه الإقناع بالأسلوب العقلي حيث استخدام أسلوب الاستفهام وهو من الأساليب البلاغية الناجحة التي تستخدم لجذب الانتباه وإثارة التفكير لدى المخاطب، ومن الملاحظ أن النبي – ﷺ – بني حواره على المناقشة الاستقصائية حيث عمد إلى طرح أسئلة تستقصي الموضوع الذي يعالجه وكلما أجاب الشاب عن سؤال علق عليه النبي – ﷺ – وهذه الطريقة تعد إحدى الطرق المستخدمة في تطبيق استراتيجية الحوار والمناقشة، ومن الملاحظ أن النبي– ﷺ–

بنى أسئلته الحوارية على صورة الاستفهام الإنكاري مكررا السؤال لأنه يعالج فكرة ترسخت في نفس الشاب حتى تمكنت منه؛ لهذا فقد عمد النبي إليه بعدد من الأسئلة التي من شأنها أن تزعزع الفكرة في نفس المخاطب من جزورها، وتبدد هذا الأسر الذي وقع فيه، وتفك تلك القيود التي كبلته بالحجة العقلية والقناعة الصادرة من قرارة نفسه، وقد صاغ النبي – ﷺ– هذه الأسئلة صياغة محكمة بحيث تصل بالمخاطب إلى الإقناع، فوجه الاستفهام الإنكاري إلى الفعل (تحبه) دون غيره؛ ليوقظ في النفس غرائز الحب ودواعيها التي منها الخوف على من نحب وكراهية أن يمسه سوء، وحب إكرامه والرغبة في صيانة عرضه، وهذا جدير بأن يدافع في النفس حب الشهوة، كما أنه أضاف كل من سألهم عنهم إلى ضمير المخاطب؛ ليجعل الأمر متعلقا بذاته والإيذاء واقعا عليه وفي ذلك إثارة لوجدانه، وإيقاظا لضميره، وقد رتب النبي الشخصيات التي عمد إلى تصويرها في ذهن المخاطب بشكل مقصود راعى فيه فقه الأولويات، حيث بدأ بالأم ثم الابنة ثم الأخت ثم العمة ثم الخالة، وهذا التدرج يساعد الشاب وكل من أصيب مصابه على فهم قبح الزنا وتأثيره على أقرب الناس إليه، وقصد إلى البداية بالأم؛ لما لها من مكانة وقدسية لدى الإنسان، تجعله يخشى عليها الأذى ولما لها من حق يجعله حريصا على صيانتها من كل مكروه، يقول الإمام الباقلاني كاشفا عن السر في البداية بالأم : " لعظم حرمتها، وإدلائها بنفسها، ومكان بعضيتها، فهي أصل لكل من يدلى بنفسه منهن، ولأنه ليس في ذوات الأنساب أقرب منها"[1] كما أنه من المقطوع به أن لكل إنسان أمّا، وليس حتما أن يكون له أخت أو بنت أو عمة أو خالة، فبدأ بما لا خلاف في وجوده عند الجميع حتى يكون له أثر عند المخاطب وكل من يتأتى منه السماع، وفي قوله: «أَتُحِبُّهُ

(١) إعجاز القرآن للباقلاني، لأبي بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ):٢٠٧: ٢٠٨، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

لِأُمِّكَ؟» أثر كبير في نفس المخاطب قصده النبي ﷺ ليحدث به صدمة قوية في نفس المخاطب من شأنها أن تعيده إلى رشده وذلك من خلال فرضية أن يتصور أمه في هذا الفعل الذي أتى طالبا إياه مما يجعله يسرع إلى إنكار ذلك بل ورفضه بالكلية، فتتزعزع الفكرة في نفسه وتأخذ القيود التي سيق بها نحو هذا الفعل تنصهر وتتبدد، ولم يكتف النبي – ﷺ– بقوله: (أتحبه لأمك)، بل عَدَّدَ الأسئلة التي اشتملت على عدد من محارمه زيادة في الإقناع، وبيانا لأهمية الأمر إذ إن كثرة الاستفهام من المعلم تشعر المتعلم بأهمية الأمر، كما أن فيه دلالة على أن أي امرأة سيأتي معها هذا الفعل لن تخلو أن تكون أما، أو بنتاً، أو عمة، أو خالة لأحد من الناس، كما أن تعداد المحارم أقوى في الزجر وأوسع في الردع لأن لكل إنسان من تلك المحارم المذكورة واحدة أو أكثر لها مكانة عظيمة في قلبه وأثر كبير في نفسه بحيث لا يقبل لها الأذى ولا يحب أن يراها في موقف تعاب به أو تذم، وبهذا يكون تعدد الأسئلة مع المحارم المختلفة بعد (الأم) إنما أتى لتأكيد ما أحدثه السؤال الأول من أثر واستقصاء ما تبقى من رغبة فلم يتركه حتى بدد كل ما تبقى في نفسه من رغبة تجاه هذا الفعل عن طريق استقصاء درجات القرابة المختلفة وتصويرهم له في هذا الفعل الشنيع، وأتت إجابة الشاب في كل مرة (: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ) مبنية على الحذف والأصل (لا أحبه لكذا والله)، وذلك الحذف يظهر الحالة النفسية التي يعاني منها هذا الشاب في هذا الموقف حيث ضيق الصدر الذي جعله يبني كلامه على الإيجاز، كما أنه يكشف عن أن فكرة حب هذا الفعل مع تلك الأصناف المذكورة غير موجودة عنده بأي قدر لحد أنه لا يطيق ذكر فعل الحب معها وإن كان في معرض النهي، فما بالك في معرض الإثبات، وهذا دليل منه على شدة كرهه لهذا الأمر، ويعضض ذلك تأكيده لهذا الفرض بتكرار القسم في كل إجابة، وعندما أجاب الشاب عن السؤال بالنفي علق عليه النبي – ﷺ بقوله: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» وهذا التعليق له مكانة كبيرة في أن يحقق هذا الحوار فائدته المرجوة، وأن تحقق هذه

الطريقة بغيتها، حيث استطاع بهذه التعليقات الموجزة أن يؤكد على ما استخرجه من قناعة الشاب بالرفض لهذا الفعل ليحوله من موقف خاص بالشاب لموقف عام يشمل كل الناس، فجمع النبي – ﷺ – في طباق سلب بديع بين الحب والكره، في قوله (أتحبه ... ولا الناس يحبونه) حيث بين للشاب أن الزنا أمر لا يرضاه جميع الناس لأهليهم ،وسلط النفي على الفعل المضارع (لا ... يحبونه) ليشير إلى أن عدم الحب متجدد ومستمر فهو من الفطرة التي فطر الله عباده عليها في كل زمان ومكان، وهذا يساعد الشاب على فهم حقيقة ما طلب وأنه ليس مجرد شهوة، بل هو فعل قبيح ومرفوض من المجتمع كله، كما أن فيه تلويحا بأنه إن رضى بهذا الفعل مع محارم غيره فعليه أن يقبل ذلك الفعل من غيره مع محارمه، وهذا ما لا تقبله الفطرة السليمة، وفيه دلالة على أن الشريعة لما حرمت هذا الفعل على الإنسان فكان الغرض من ذلك حماية هذا الإنسان ومن يحب قبل حماية غيره؛ لأنها وإن كانت قد حرمت عليه هذا الفعل فقد حرمت أيضا على الناس جميعا هذا الفعل مع أهله ومحارمه، وبهذا المنهج الفريد فقد نجح هذا الحوار في توليد قناعة داخله لدى الشاب عبر وضعه في مكان الآخرين وإثارة غيرته وفطرته السليمة دون أن يفرض عليه أي قناعة خارجية لا أساس لها في داخله.

ولاحظ أن النبي – ﷺ– في جميع كلامه لم يتلفظ بكلمة الزنا بل عبر عنه بضمير الغائب للتنزه عن ذكره، كما أن فيه قصدا بعدم التصريح به حتى يسلي الشاب عنه فكلما طوى ذكره عن لسانه كلما طوى صورته في ذهنه، وخفتت صورته في نفسه، وبهذا فقد عالج النبي – ﷺ – هذا الموقف بطريقة حكيمة وأسلوب بديع حيث جعل الشاب يدرك أثر الزنا في المجتمع، وكيف أَنَّ الناس جَمِيعًا لا يرضونه لأنفسهم ولا لأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه، من قرارة نفسه.

وعليه يكون هذا الحديث النبوي الشريف نموذجاً عملياً ومثالا يحتذى به في معالجة مثل هذه المواقف التعليمة والتربوية، حيث أبان في موقف تعليمي وتربوي فريد من نوعه كيف يكون الحوار الهادئ، المبني على الحجة والرحمة، هو الأسلوب الأمثل لمعالجة أعقد المشكلات وأكثرها حساسية، خاصة في تلك المواقف التي تتطلب حكمة بالغة ونفاذاً إلى أعماق النفس البشرية لتحويل لحظات الضعف الإنساني إلى مواقف تعليمية راسخة الأثر.

من بلاغة أسلوب (الإشارة) في السنة النبوية

مدخل:

تعد الإشارة من الأدوات التي يستخدمها المتكلم للإفصاح عما يريد، حيث إن لها دورا كبيرا في الدلالة الدقيقة على المعنى المقصود في السياقات المختلفة وقد فطن العلماء القدامى إلى ذلك الدور المهم حيث عدها الجاحظ من الوسائل التي تعرف بها دلالات المعاني وذلك في قوله: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها: اللفظ، ثم الإشارة ...)[1]، وأوضح الجاحظ أن "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ... "[2]، وللإشارة دور كبير في إثراء الكلام بالمعاني، فقد تجد من البلاغي كلاما قليلا مشتملا على معان كثيرة بفضل استعماله الإشارة التي تنطق بدلالات زائدة تحتاج في بيانها إلى ألفاظ كثيرة.

من أمثلة الإشارة في الحديث النبوي

الإشارة في بيان النبي -ﷺ-لها أهمية لا تقل عن البيان اللفظي، فكما أن بلاغته تمثلت في كلامه فقد وجدت أيضا في إشاراته، وقد عرف الصحابة تلك الأهمية فنقلوا لنا إشاراته كنقلهم عباراته، ولوضوح تلك الظاهرة التعبيرية في بيانه ﷺ فقد بوب شراح الحديث لها في كتبهم فتجد باب الإشارة في الخطبة، والصلاة... ونحو ذلك، وكان ﷺ صاحب بلاغة عالية في كل ما يعبر به فإذا عبر باللفظ كان فصيحا، وإذا عبر بالإشارة كان فصيحا، وكان يختار لكل موضع ما يناسبه فتراه "

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ):٨٢/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

(٢) السابق : ١: ٨٣.

يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات "[١]، ومن تعبيره عن معانيه بالإشارة:

ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُول الله – ﷺ –: «كَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ» . وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[٢].

في هذا الحديث الشريف يوضح النبي –ﷺ– لأمته فضل كافل اليتيم القائم بأموره، وقد استهل النبي– ﷺ– حديثه بقوله: (كَافِلُ اليَتِيمِ)؛ ليكون أول ما يطرق الأسماع فينتبه إلى أهمية هذا الأمر وعظمته، كما أن فيه حثا على أن يكون هذا الأمر في مقدمة اهتمامات الأمة، إذ إن الناس في الغالب يغفلون عن الأيتام، كما أن فيه تشويقا لمكانة الكافل ومنزلته أما في حديث سهل –رضى الله عنه– فقد بدأ النبي– صلى الله عليه ويلم بقوله: (أنا وكافِلُ اليَتيم ...)[٣]؛ لأن التركيز هنا موجه للجانب الذي يعتني ببيان قرب كافل اليتيم من النبي ﷺ في الجنة؛ لذا بدأ بالضمير "أنا"؛ ليؤكد على هذا القرب العظيم والشرف الكبير الذي يناله كافل اليتيم، أما في رواية أبي هريرة فالتركيز موجه إلى فعل الكفالة نفسه، بغض النظر عن صلة القرابة بين الكافل واليتيم، فالبدء بـ "كافل اليتيم" يؤكد على أهمية هذا الفعل وفضله العظيم، وكلا الجانبين يؤكدان على فضل كفالة اليتيم، وتأمل التركيب الذي اصطفاه النبي ﷺ، ليبدأ به الحديث (كافل اليتيم) وهو مكون من مقطعين الأول (كافل) وهي كلمة

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (المتوفى: ٦٥٤هـ):٢٠٠، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم (٢٩٨٣): ٢٢٧٨/٤.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (المتوفى: ٢٧٥هـ):٤٦١/٧، باب في ضَمِّ اليتيم، حديث رقم(٥١٥٠) تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

نكره، والمقطع الثاني (اليتيم) وأتى (كافل) مضافا إلى (اليتيم)؛ ليحصل للكافل التعريف باليتيم وفي التعريف بالإضافة هنا معنى بديع حيث استطاعت الإضافة أن تجعل لليتم فضلا على كافله فبه يعرف ويميز عن غيره، والمعرفة هنا ليست معرفة دنيوية بل يقصد بها المعرفة التي تكون في الآخرة بفضل كفالته لليتيم تلك المعرفة التي تحقق له القرب من الرسول -ﷺ-، وبهذا تكون الإضافة هنا لإثارة النفس وتحريضها لهذا الخُلق، كما أن الإضافة هنا فيها إثارة لشعور الشفقة في نفس المتلقي إذ إنها ترسم جو اليتيم الذي يجعل المتلقي يمل إلى الاستجابة حينما يستحضر حال هذا اليتيم وما آل إليه أمره، وفي قوله: (لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ) توضيح يحمل دلالات تربوية كبيرة كشف عنها الطباق بين (له، أو لغيره) حيث أكد هذا الطباق على أن هذا الفضل غير موقوف على صنف معين من اليتامى فجمع بين طرفيه القريب والغريب من اليتامى وهذا يدل على مدى سعة الأمر حتى لا يظن السامع أن الثواب الحاصل من هذا العمل خاص بمن يعول يتيما لا تربطه به صلة قرابة، كما أن فيه توسعة للأمر فمن لم يكن له في أقاربه يتيم فليلتمس الأجر في غير القرابة فكلاهما سواء، وهذا التوضيح جعل أذهان المتلقين تتجه نحو الفعل دون الوقوف عند عقباته، فقد يشغل السامع بحديث عقله الذي يتساءل قائلا: وهل تحقق الفضل يتوقف على كون اليتيم من أصحاب القرابة أم أن الأمر في القريب والغريب سواء؟، فأتي هذا التوضيح ليجعل الذهن مصوبا سهام إدراكه نحو الفعل مستكملا سماع الحديث دون تشتت أو تشويش، معززا لمبدأ التشويق نحو الوصول إلى بيان فضل من أتى بهذا الفعل، وفي قوله: (أنا وهو) بيان لمنزلة من يحرص على هذا الفعل حيث جمع النبي -ﷺ-بين نفسه وبين كافل اليتيم بحرف العطف (الواو) التي تفيد مطلق الجمع دون ترتيب حيث تضم الآخر إلى الأول وتجمعهما في الحكم؛ ليشير إلى قرب المنزلة بينه -ﷺ- وبين كافل اليتيم تلك المنزلة التي لا تكاد ترى بينها فروقا شاسعة، ولا مساحات واسعة، وفيه كناية برفعة المنزلة التي أعدت لكافل

اليتيم لأنه طالما فاز بجوار النبي-ﷺ- فهذا دليل على أنه في أعلى المنازل؛ لأن الله خص نبيه بالمنازل العالية في الجنة، وفي قوله: (في الجنة) حرص من النبي-ﷺ- على التصريح بذكر الجنة على الرغم من علم المخاطب بها لتكون الجنة التي تهفو إليها النفوس هي آخر ما يطرق الآذان وفي ذلك مزيد بشرى وحسن ختام وفيها استحضار لتلك المنزلة في عقل السامع مما يحثه على السعي للوصول لتلك المنزلة، ولما كانت هذه المنزلة لا يصل إليها الإنسان إلا بشقاء وعناء وحرص على التسلح بشتى ألوان الأعمال الصالحة التي يصعب على النفس أن تسلم لها زمام أمر صاحبها للمضي نحو الولوج إلى أبواب الطاعات إلا بعد مشقة وجهاد، مما يجعل السامع يظن أن الوصول إلى منزلة الجوار النبوي في الجنة مما يحال بلوغه إلا بشق الأنفس؛ لذا حرص النبي -ﷺ- على استخدام وسيلة مناسبة من شأنها أن تبدد تلك الأوهام وترسخ فكرة إمكانية القرب من منزلته -ﷺ- مع علوها، فأكد فكرة القرب بما لا يترك مجالا للظن أو الوهم، فقال كهاتين وهذا التشبيه تعددت أغراضه إذ إنك ترى فيه تأكيدا لمعنى القرب بين منزلة كافل اليتيم والنبي في الجنة، وفيه مزيد ترغيب للحث على المسارعة نحو الإتيان بهذا العمل الجليل وفيه بيان أن هذا القرب ليس على سبيل المجاز بل هو قرب حقيقي، ولاحظ أن المشبه به اسم إشارة (هاتين) يحيل السامع إلى مشار إليه وهو ما كشف عنه الراوي بقوله: (وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى) ومن هنا تظهر أهمية حرص راوي الحديث علي وصف هذه الإشارة لما لها من دور فعال في إيضاح بلاغة النظم وبيان المراد النبوي منه، وفيها دليل قاطع على أن المعنى المراد لم يكن ليكتمل إلا بتلك الإشارة فهي كغيرها من وسائل البيان بل إن ما حققته من دلالات هنا لم يكن ليتحقق مع غيرها أو بدونها، ودل على أن الإشارة التي قام بها النبي – ﷺ – هنا إنما هي من أدوات البيان وضرب من ضروبه التي لها عطاءات في السياق ودلالات في بيان المعنى بحيث لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها كشفت عن مقدار القرب بين منازل كافل اليتيم وبين

منازل -ﷺ- في الجنة، وأكدت في النفس مفهوم القرب وجعلته مستقرا عندها بحيث لا يتطرق للذهن ظن بخلاف المراد، وقد حرص النبي – ﷺ- على استخدام الإشارة هنا لعلمه أن المعنى المقصود قد لا يصل بتمامه إلى المتلقي عن طريق الإخبار باللفظ، ويظهر ذلك جليا لو استبدلنا الإشارة باللفظ فقولنا (كافل اليتيم وأنا في الجنة متقاربين أو متجاورين) وهنا لا تجد المعنى الذي رسمته الإشارة وأعربت عنه، لأن الاكتفاء باللفظ دون التعويل على الإشارة لم يكن يحقق مراد الحديث من التأكيد على بيان منزلة كافل اليتيم لما قد ينسجه عقل السامع من حواجز تخيل له أن المقصود بالقرب المفهوم من اللفظ هنا هو كثرة الأجر دون القرب الحقيقي لذا كان التعبير بالإشارة أبلغ في بيان وجه الشبه، كما أن الإشارة بهذين الإصبعين لها فضل في زيادة المعاني المفهومة من وجه الشبه فمن رأي الإشارة من النبي -ﷺ- أو سمع بها من راوي الحديث يتأكد لديه مع قرب المنزلة دوام الصحبة، وهذا الدوام موجود في طبيعة الإصبعين فكلاهما يجاور الأخر مدة بقائهما لا يفصل بينهما شيء أبدا، وهذا الوجه يدفع احتمال أن يكون القرب بين النبي وبين كافل اليتيم قربا مؤقتا ثم ينقضي ويزول، كما أن تأكيد القرب باستخدام الإشارة جعل المعنى يتحقق باللفظ والإشارة معا ومن المعلوم أن المعنى إذا حصل بطريقين مختلفين تعاورا معا على تأكيد المراد واستقرار المعنى في نفس السامع؛ وبهذا تكون الإشارة قد أدت دورا قد يعجز اللفظ عن أدائه وبيانه، كما أن الإشارة هنا أزكت المعنى المفهوم وضاعفته وجعلت البيان النبوي مؤلفا من ألفاظ قليلة لكنها اشتملت على معان كثيرة تولدت تلك المعاني من مفهوم الإشارة التي تآزرت مع اللفظ في بناء الدلالة وتشيد المعنى مما يدل على أن للإشارة هنا منزلة كبيرة في تحقيق مراده ﷺ وتبليغه إلى المخاطبين.

من بلاغة أسلوب (دراسة الحالة) في السنة النبوية

مدخل:

تعد استراتيجية دراسة الحالة إحدى استراتيجيات التدريس التي تهتم بدراسة موقف تعليمي لحالة محددة، يأخذ المتعلم خلالها فرصة لأداء عمل معين، ثم يقوم المعلم بالحكم على أدائه سلباً وإيجاباً[١]، مع تقديم التوجيه والتقويم، وتقوم هذه الاستراتيجية "على تحليل حاله ما إلى أبعاد متعددة بهدف دراستها بعمق والعمل على الحد من المشكلات التعليمية "[٢]، وتهتم دراسة الحالة بدراسة الموقف التعليمي من خلال جمع المادة العلمية حول الحالة وتحليلها من أبعاد متعددة، وتحديد أبعاد الموقف سلبا وإيجابا ثم تصحيح الخطأ وجبر النقص في الموقف .

من أمثلة دراسة الحالة في السنة النبوية

الناظر في السنة النبوية يجد أن استراتيجية دراسة الحالة في البيان النبوي من الاستراتيجيات المهمة التي تركز على معالجة حدث أو موقف محدد يتم تشخيصه وتحليله بشكل موضوعي ومنهجي ليتم معالجته، ومن تطبيقاتها في السنة النبوية حديث المسيء صلاته، فقد روى الشيخان بسنديهما: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ وَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا فَقَالَ: وَالَّذِي

---

(١) الرسول ﷺ واستراتيجيات التعلم النشط، نجاح عبد القادر محمد سرور: ٦١٨ وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامي، الوعي الإسلامي العدد (٦١٨).

(٢) أثر استراتيجية دراسة الحالة في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية الميل نحو حب المادة والتحصيل لدى التلاميذ بطئ التعلم بالمرحلة الإعدادية، هبة الله حلمي عبد الفتاح سعيد : ٥٥٥، المجلة التربوية لكلية التربية جامعة سوهاج، العدد (٧٤) يونيو ٢٠٢٠م

بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا"(١)

في هذا الحديث الشريف موقف تعليمي اكتملت محاوره، حيث المعلم وهو النبي – ﷺ، والمتعلم وهو الصحابي الذي دخل فصلى، والمحتوى التعليمي وهو تعليم الكيفية الصحيحة لأداء الصلاة، وقد استخدم النبي – ﷺ– استراتيجية تناسب هذا الموقف وهي ما تسمى بـ(دراسة الحالة)؛ ومن يتأمل معطيات هذا الحديث يجد أنه يعد مثالًا واضحًا على استخدام النبي ﷺ لهذه الاستراتيجية"، فالحديث قام على حالة محددة حيث رأي النبي ﷺ رجلا يصلى ولا يحسن الصلاة، وهذا الأمر منه ﷺ يعد تشخيصا وتحليلا لتلك الحالة، فشرع النبي ﷺ في معالجة الموقف بحكمة عالية، وهدوء ولين دون أن يعنف أو أن ينهر، حيث طلب من الرجل أن يعيد صلاته قائلا له (ارجع فصل) وكلما أعاد صلاته طلب منه النبي أن يرجع مكررا ذلك ثلاثا مما يدل على حرصه على تشخيص المشكلة بدقة، ولاحظ دقة التعبير النبوي حيث استعمال الفعل (ارجع) دون غيره كـ(عد) وذلك ليبين للمخاطب من أول وهلة أن ما أتى به يجب أن ينصرف عنه ويأتي بغيره وذلك لأن مادة (ر ج ع) تحمل معنى الانصراف وغالبا ما يصحبها تعديل(٢)، يقال: رجع عن قراره، أي غيره، وهذا يتناسب مع الحدث فالنبيﷺ لا يريد من الصحابي الجليل أن يعود لمثل ما كان عليه، بل يريد منه أن يرجع عنه ويأتي بغيره، بدليل قوله: (فإنك لم تصل) مع أن الصحابي صلى لكن النبي ﷺ وجد في صلاته نقصا أدى إلى بطلانها فكأنها لم تكن؛ لذا حرص النبي على تأكيد كلامه بالتعبير بالجملة الأسمية المؤكدة بـ(إن) لأن الصحابي

(١) صحيح البخاري: ١/ ٢٦٣.

(٢) لسان العرب مادة : (ر ج ع).

يعتقد في قرار نفسه أنه قد أدى صلاته ظانا أنها تامة صحيحة، فجاء كلام النبيﷺ مخالفا لمعتقده وما قر في نفسه فناسبه التأكيد حتى يزيل هذا الظن الذي سكن في قرار نفسه، ويهدم اعتقاده بأن ما أتى به يصلح أن يكون صلاة، لهذا تجد أن الصحابي لم يناقش النبيﷺ فلم يقل له: (لقد صليت يا رسول الله) بل أسرع في تنفيذ الطلب ونزل على أمر النبيﷺ بسرعة ودون تردد، ويظهر ذلك في قول الراوي: (فرجع يصلي كما صلى ثم جاء) حيث عبر بالفاء الدالة على السرعة والتعقيب؛ وذلك لما وجده من حرص على تأكيد الخبر في قوله (فإنك لم تصل)، كما يفهم أيضا من التأكيد ونفي الصلاة بالكلية أن أمر النبي في قوله (أرجع فصل) كان على سبيل الوجوب لا الندب أو الجواز، وفي قول الراوي: فسلم على النبيﷺ، فرد وقال: (ارجع فصل...) ما يدل على أن النبيﷺ لم يؤجل تصحيح أخطاء الرجل التي وقعت منه في صلاته، بل قصد إلى تصحيحها على الفور، مما يدل على حرصه ﷺ على معالجة الأخطاء بشكل فوري حتى لا تترسخ في أذهان من وقعت منهم، بل إن هذه السرعة كانت عاملا مهما وناجحا في إيقاظ ذهن الصحابي وإعلامه بأهمية الأمر وخطورته، وهذا الأمر من الدلالات التربوية المهمة التي يجب أن تترسخ في ذهن كل معلم ناجح، ومن الواضح أن النبيﷺ لم يشر للصحابي إلى الخطأ الذي وقع فيه من أول وهلة بل جعله يمارس خطأه، وكرر هذا الطلب ثلاثا وهذه براعة من النبي ﷺ، حيث أراد أن يجعل مخاطبه مهيئا ليتقبل ما سيلقيه عليه من تعاليم، وهذا تحقق عندما أخبره بأنه لم يصل، وأمره بالإعادة مما يجعل الصحابي يستحضر ذهنه في كل حركاته وسكناته وأقواله في صلاته حتى إذا ما أشار النبي إلى موضع الخلل نزل عنده في محله ومكانه فيكون الأثر أقوى وأبقا، وبهذا يكون النبي قد قصد إلى دفع الصحابي إلى التطبيق العملي دون الاكتفاء بالقول النظري لأهمية الجانب العملي في مثل تلك المواقف، ولعل ذلك ما جعل النبي يختار تلك الطريقة ليعالج بها هذا الموقف التعليمي، وقد حرص النبي على أن يأمر الصحابي بإعادة الصلاة

ثلاثا حتى تكتمل الصورة الذهنية لفعلة بشكل كامل، كما أن فيه إثارة وحثا له بأن يبادر بالسؤال عن الطريقة الصحيحة للصلاة، ومعلوم أن الشيء إذا أتى للإنسان بعد طلبه وإلحاحه فإنه يقع في النفس موقعا أقوى من إعطائه إياه دون طلب أو شغف، وفي التعبير بـ((فرجع يصلي كما صلى ثم جاء)) استخدم (ثم) في (ثم جاء) ليدل على أن الصحابي لما لم يجد تغيرا في صلاته وعلم أن النبي سيرده ثانية كان المجيء فيه ثقل على نفسه وتأني في فعله؛ لذا عبر معه بالفعل (جاء) الذي يستعمل فيما فيه مشقة، وهذا يجعل المستمع يعيش الحالة النفسية للموقف التعليمي وكأنه يراه ويعاينه، ويكشف هذا الوصف الدقيق من الراوي عن السر وراء صياغة الصحابي قوله للنبي - ﷺ - في صورة التأكيد بالقسم(والذي بعثك بالحق) وأسلوب القصر (ما أحسن غيره) الذي أتى بطريقة النفي والاستثناء تلك الطريقة التي تستخدم في المعاني التي تحتاج إلى مزيد تقرير وتأكيد، بالإضافة لما وجده الصحابي من إصرار النبي- ﷺ - على إعادة الصلاة والتأكيد في كل مرة على أنه بفعله هذا فإنه لم يصل، فأتى التأكيد ليكشف عن الحالة النفسية التي استشعرها المتكلم بداخله وهي أنه بذل جهده وأتى على كل ما عنده حتى لم يعد لديه ما يغيره في صلاته، فأتى كلامه مؤكدا؛ قصدا للمبالغة وتمهيدا لطلب التعلم، وبهذا فقد نجحت تلك الوسيلة التي عالج بها النبي هذا الموقف في أن تهيئ الصحابي لتلقي المعرفة الصحيحة وتجعله متشوقا إلى سد الخلل، وقد بلغ الحرص من الصحابي على التعلم مبلغا كبيرا ويظهر ذلك في قوله: (علمني) حيث حذف المفعول الثاني حتى لا يقتصر طلبه على أمر محدد بل إنه يريد أن يحصل كل ما يمكن تحصيله من النبي ﷺ، فأفاد الحذف العموم مع الاختصار والإيجاز، وبهذا أصبح المناخ التعليمي مهيئا لاستقبال المعارف التي أراد النبي أن يعلمها للصحابي الجليل وكل أمته، وبعد أن أقرّ الصحابي بعدم إحسانه للصلاة بغير هذه الكيفية ، أخذ النبي ﷺ بتعليمه الخطوات الصحيحة للصلاة في صورة تعليمات واضحة موجزة فقال:" إذا قمت إلى الصلاة..."

واستعمل أداة الشرط (إذا) الدالة على تحقيق ما دخلت عليه؛ لأن عبادة الصلاة من العبادات المحقق فعلها والتي يسعى دائما المؤمن للحفاظ عليها، وأتى فعل الشرط على صيغة الماضي (قمت)؛ ليقوي دلالة التأكيد المستفادة من أداة الشرط (إذا) ويتعاوران معا على تأكيد الحرص على المحافظة على الصلاة، وقوله: (فكبر...) استعمل الفاء الدالة على السرعة والتعقيب؛ لينبه المخاطب إلى أن الإنسان متى قام إلى الصلاة فعليه ألا ينشغل بغيرها بل يجب أن يسرع في الدخول إليها، وفي قوله:(كبر) إيجاز حذف إذ إن المعنى فكبر تكبيرة الإحرام، والحذف هنا للعلم بالمحذوف، و لمناسبة مقام التعلم الذي يحتاج إلى أن يشتمل على معلومات كثيرة في وقت قصير بأوجز عبارة، بحيث لا يحدث لدى المتعلم اضطراب أو تشويش بسبب كثرة الكلام، كما أن فيه دلالة على أن المخاطب أتى بهذا الأمر على النحو المطلوب فلا يحتاج معه إلى تفصيل، وفي بيانه لأركان الصلاة عدل النبي عن (الفاء) واستعمل (ثم)، لينبه إلى ما فات هذا الصحابي الجليل من الطمأنينة في أداء الأركان لظنه أن الطمأنينة ليست مطلبا رئيسا تتوقف عليه صحة الصلاة، لهذا أكد النبي عليها بالتعبير بـ(ثم) التي تدل على الترتيب والتراخي، ولشدة حرصه ﷺ على بيان أهمية الطمأنينة في جميع الأركان لم يكتف بقوله: (ثم اركع حتى تطمئن ثم ارفع حتى تعدل ، ثم اسجد حتى تطمئن ، ثم ارفع حتى تطمئن) بل أكد بعد كل ركن بحال أتى على صيغة اسم الفاعل(راكعا، قائما، ساجدا، جالسا) للمبالغة في أداء الركن والتأكيد على حالة الثبات والطمأنينة التي يجب أن يتلبس بها المصلي في كل ركن من أركان الصلاة، كما أن فيه دلالة على الاستمرار والثبات في الطمأنينة، مما يعني أن المصلي يجب أن يبقى في حالة الطمأنينة حتى ينتهي من أداء الركن بشكل كامل، وهذا يؤكد على أهمية الطمأنينة في الصلاة، ويرسخ في ذهن المخاطبين ضرورة إتقانها، وفي قوله: (وافعل ذلك في صلاتك كلها) اسم الإشارة يعود على ما ذكره النبي- ﷺ – من تعليمات، وفي التعبير به إيجاز غرضه عدم تكرار تلك

التعليمات مع التأكيد على فعلها، وعبر باسم الإشارة للبعيد (ذلك) للتأكيد على أهمية ما ذكره النبي – ﷺ– من تعليمات فالإشارة إليه بما هو للبعيد يدل على عظيم شأنها وارتفاع قدرها مما يعزز من قيمتها ويبجل من قدرها في نفوس المستمعين، وفي قوله: (وافعل ذلك في صلاتك كلها) ما يدل على حرص النبي– ﷺ – على إرشاد المخاطبين بضرورة الحفاظ على هذه الأمور في كل صلواتهم، وبهذا فقد جسد هذا الحديث النبوي نموذجا متكاملا لاستخدام استراتيجية دراسة الحالة في الموقف التعليمي، لتأتي هذا الطريقة مناسبة لما يقتضيه الحال ويتناسب مع المقام.

الخاتمـــــــــــة

الحمد لله على ما يسر به وأعان عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله، عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وأشهد أن سيدنا محمدا ـ ﷺ ـ عبده ورسوله أشرف الخلق، وسيد المرسلين.

فبعد هذه الجولة البلاغية التي تناولت صورا متنوعة من الأساليب التعليمية التي وردت في السنة النبوية للوقوف على دلالاتها البلاغية، فقد آن للقلم أن يخط حصاد هذا التطواف، وأن يلم خيوطه وشجونه، في إشارة موجزة إلى أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، وهى على النحو الآتي:

١. كشف البحث عن أن البلاغة العربية مجال خصب لكثير من الدراسات البينية حيث تناول البحث جانبا تربويا؛ ليكشف من خلاله عن البلاغة النبوية في صياغته، وتوظيفه، وجمال استخدامه.

٢. كشف البحث عن أن الأساليب التعليمية التي استعملها النبي – ﷺ – لم تأت في كلامه لتكون مجرد وسيلة لنقل الأفكار فحسب، وإنما كانت توظف للتعبير عن خلجات النفس وانفعالاتها.

٣. كان للأساليب التعليمية المستخدمة دور بازر في تهيئة المعنى وإثارة الذهن وزيادة التركيز والانتباه، وتوضيح المراد وتقريبه للمساعدة في فهم ما أغلق فهمه، وإقناع المخاطبين وترسيخ المعلومات عندهم وحفظها في أذهانهم أكبر وقت ممكن .

٤. أوضح البحث أن الوسائل التعليمية التي جاءت في البيان النبوي كان لها دور كبير في بناء الصور الكلية للحدث والموقف، ولم تكن كالشيء السنوي العارض، بل مثلت ركنا رئيسا في التركيب البنائي للنص.

٥. اظهر اختيار النبي ﷺ لوسائله التعليمية في بيانه النبوي روعة في التناسب حيث تنوعت المقامات التي استعمل فيها النبي الأساليب التعليمية وأتت كل وسيلة متوافقة مع مقتضى الحال، ملائمة للمقام منسجمة مع طبيعة السياق، مراعية اختلاف أحوال

المتلقين وقدراتهم، مناسبة مع الموقف الذي استعملت معه متسقة مع فقه المعنى في الحديث

٦. لم تقتصر بلاغة الأساليب التعليمية في حديث النبي- ﷺ - على البلاغة اللفظية فحسب، بل جمعت بين اللفظ وأساليب تعبيرية أخرى كالإشارة، والرسومات، والخرائط الذهنية، وغيرها.

٧. لم تقتصر بلاغة النبي ﷺ على قدرته الهائلة في توظيف كل أسلوب في المقام الذي يقتضيه، بل كشف البحث عن براعته ﷺ في صياغة أساليبه ودقة تراكيبها، واختيار ألفاظها وتوظيفها بدقة وإحكام، ومواضع ذكرها فتارة يبتدأ بها، وتارة ينهي بها، وتارة تأخذ من البداية حتى النهاية، بل تجد براعة عالية في دقة توظيف الأدوات البلاغية وتنوعها للتعبير عن المعنى بصورة دقيقة.

٨. وظف البيان النبوي البلاغة الصوتية توظيفا بارعا في المواقف التعليمية لتؤدي الوسائل التعليمية المستخدمة وظيفتها على أتم وجه وتتفق مع متطلبات السياق وطبيعة الموقف، فقد يتسم الحوار بنبرة عالية، فتجد الألفاظ قوية والعبارات جزلة، وأحيانا تجد الحوار يتسم بالهدوء، فتأتي ألفاظه رقيقة وعباراته سهلة.

التوصيات:

١. يوصى البحث بإجراء دراسات بلاغية متخصصة حول الوسائل التربوية المختلفة في البيان النبوي، للكشف عن طريق المعالجة المختلفة التي استطاع بها البيان النبوي أن يوظف تلك الوسائل التربوية في الأغراض المختلفة.

٢. كما يوصى البحث بإجراء دراسات بلاغية متخصصة للأحاديث النبوية التي ورد بها أسلوب تعليمي محدد بغرض الوقوف على أهم الخصائص والسمات البلاغة التي تميز بها هذا الأسلوب عن غيره وبيان مقاماته وأثره في معالجة المواقف .

وبعد : فالحمد الله الذي أعان ووفق ، فهذا غاية جهدي وما وقف عنده فهمي في بحثي حول بلاغة الأساليب التعليمية البلاغية المستخدمة في البيان النبوي، فإن كان

فيه من توفيق؛ فهذا من فضل الله علىّ ، وإن كان غير ذلك فمن نفسي، وحسبي أني بذلت ما في وسعي وطاقتي والكمال لله وحده، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع والمصادر

م	القرآن الكريم
١.	أثر استراتيجية دراسة الحالة في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية الميل نحو حب المادة والتحصيل لدى التلاميذ بطئ التعلم بالمرحلة الإعدادية، هبة الله حلمي عبد الفتاح سعيد، المجلة التربوية لكلية التربية جامعة سوهاج، العدد (٧٤) يونيو ٢٠٢٠م
٢.	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حديث رقم (٧٠١٠) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣.	إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد القسطلاني ، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ .
٤.	أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية، أحمد اللقاني، عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م .
٥.	الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
٦.	إعجاز القرآن للباقلاني، لأبي بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م
٧.	الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) ، دار إحياء العلوم – بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.
٨.	البيان والتبيين، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٩.	تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
١٠.	التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
١١.	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت
١٢.	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٣.	التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
١٤.	الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
١٥.	الجامع المسند الصحيح لأبي عبد الله محمد بن البخاري، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، ١٤٠٧ – ١٩٨٧
١٦.	حاشية الخضري، الشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخضري، على شرح ابن عقيل لألفية الإمام ابن مالك ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م.
١٧.	الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته وكتبه، تأليف د/ محمد الصباغ، ط ٧ بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٠٧م.

١٨.	الحديث النبوي وعلم النفس، محمد نجاتي، دار الشروق الطبعة الخامسة، ٢٠٠٥ م .
١٩.	الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه ، منى إبراهيم اللبودي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبه للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
٢٠.	دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م
٢١.	دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٢.	الرسول ﷺ واستراتيجيات التعلم النشط، نجاح عبد القادر محمد سرور ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامي، الوعي الإسلامي العدد ، ٢٠١٦ .
٢٣.	سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (المتوفى: ٢٧٥هـ)، باب في ضَمِّ اليتيم، حديث رقم(٥١٥٠) تحقيق شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٢٤.	السنن الكبرى للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٢٥.	شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، الأُشْمُوني (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
٢٦.	شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى،

	١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٢٧.	شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،
٢٨.	شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (المتوفى: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٢٩.	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
٣٠.	العصف الذهني وحل المشكلات، يحيى محمد نبهان، ٢٠١٠ م
٣١.	فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ
٣٢.	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٣٣.	الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
٣٤.	الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي (المتوفى ٨٩٣ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٥.	كيف ترسم خريطة العقل: توني بوزان، ط: ٩، مكتبة جرير العربية السعودية سنة ٢٠١٠ م .
٣٦.	اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٣٧.	لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
٣٨.	المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ): حققه وخرج أحاديثه، أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٩.	مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م
٤٠.	المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
٤١.	مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٤٢.	مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤
٤٣.	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح

	مسلم)، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٤.	معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٤٥.	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ
٤٦.	نظريات التعليم، عامد عبد الرحيم الزغول، دار الشروق، ٢٠١٠.
٤٧.	النظرية الارتباطية لثورندايك، رهام إبراهيم الغامدي، رابطة الأدب الحديث، ٢٠١٩.
٤٨.	وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، عليان الدبس، دار صفاء/ ٢٠٠٣م.